الإمارات
THE EMIRATES

مراود

مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

العدد 34 – سبتمبر 2021، السنة الخامسة

الراوي
ملتقى الشارقة الدولي للراوي
Sharjah International Narrator Forum
الدورة 21 Edition

قصص الحيوان
Tales Of Animals

22 30
SEPT
سبتمبر

عدد خاص

انطلاق الدورة الـ 21 من ملتقى الشارقة الدولي للراوي

ورش استباقية
تحتفي بقصص الحيوان

أكثر من 40 عنواناً متنوعاً

MARAWED Issue, 34, (SEP 2021), The Fifth Year
مراود العدد 34 – أغسطس 2021، السنة الخامسة
Issue, 34, (SEP 2021), The Fifth Year

MARAWED

Magazine Concerned With The Cultural Heritage

من إصدارات الملتقى

سلسلة ذخائر التراث العربي

(مختارات)

معهد الشارقة للتراث
Sharjah Institute for Heritage

إدارة المحتوى والنشر
Content and Publishing Department

عام الخمسين
YEAR OF THE FIFTIETH
UAE

سياسة النشر

تعنى مجلة «مراود» بالتراث الثقافي الإماراتي بالدرجة الأولى، ثم العربي والعالمي، وتسعى من خلال أبوابها إلى الاضطلاع بتلك الغاية، والتركيز على موضوعات تراثية تتّسم بالجدة والموضوعية والتنوّع والشمول، ومقاربة التراث، بحثاً وتوثيقاً ودراسةً وتدقيقاً، كما تعمل المجلة على تتبّع تجليات التراث الثقافي في الأعمال الإبداعية الإماراتية والعربية من خلال الاحتفاء والتوظيف والاستحضار لمختلف عناصره ورموزه.

وتركّز المجلة على الموضوعات الثقافية والتراثية والإعلامية التي تلامس مختلف جوانب التراث الثقافي من مهن وحرف وألعاب وحكايات وأزياء وزينة وحلي وفنون وموسيقى.. وكل ما يتّصل بفروع التراث الثقافي وعناصره، محلياً وعربياً وعالمياً.

ويشترط في المواد المقدّمة للنشر:

- الجِدّة والأصالة، وألا يكون سبق نشرها أو مقدّمة للنشر لدى مجلات أخرى.
- الموضوعية في الطرح والمصداقية في التناول.
- سلامة اللغة، وسلاسة الأسلوب.
- التوثيق العلمي وعزوُ كل قول إلى قائله.
- ألا تتضمن المواد ما ينافي المبادئ الأخلاقية والمقدسات الدينية أو يخدش الحياء، أو ينافي الذوق العام.
- ترفق مع المواد صور عالية الدقة والجودة.
- يراعى في ترتيب المواد المقدّمة للنشر الجانب الفني والموضوعي وفق رؤية هيئة تحرير المجلة.
- يحق لهيئة التحرير التصرف في صياغة المواد، متى كان ذلك ضرورياً، لتتماشى مع سياسة النشر، ومع الطرح الإعلامي المناسب للقارئ.
- إدارة التحرير غير ملزمة بشرح أسباب رفض نشر المواد ولا إرجاعها.
- المواد المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة، وإنما عن رأي كتّابها.
- تستقبل المواد والمشاركات على بريد المجلة الإلكتروني: marawed@sih.gov.ae

للتواصل مع إدارة التحرير:

0097165014898 - 00971567927270

m.bounama@sih.gov.ae

مراود

الراوي.. عشرون عاماً من العطاء

د. عبدالعزيز المسلّم
رئيس معهد الشارقة للتراث
رئيس التحرير
az.almusallam@gmail.com

عـامٌ فعـام، وتتجـدّد الذكـرى، ويشـتعل الحنـين إلـى أولئـك الأفـذاذِ الأَعـلام، والشـموسِ الكـرام الذيـن فارقتنـا أرواحهـم، وتركـوا معارفهـم الشـعبيةَ بصمـةً باقيـةً، وأثـراً خالـداً، وشمسـاً لا تغيـب، واليـومَ تحـينُ ذكراهـم، في شـهر سـبتمبر الـذي أصبـح شـهرَ الـراوي، وموعـداً ثابتـاً، وتقليـداً راسـخاً للاحتفـاء سـنوياً بالـرواة وحملـة المـوروث الشـعبي في دولـة الإمـارات والوطـن العربـي والعالـم، وذلـك اتسـاقاً مـع الرؤيـة الثقافيـة الثاقبـة، والبصيـرة النافـذة، والرعايـة الكريمـة، والتوجيهـات السـديدة لصاحـب السـمو الشـيخ الدكتـور سـلطان بـن محمـد القاسـمي، عضـو المجلـس الأعلـى حاكـم الشـارقة، حفظـه اللّه ورعـاه، للاحتفـاء بالـرواة والحرفيـين والمؤدين الشـعبيين، ومـا يمتلكونـه مـن مخـزون ثـرّ وغنـي ومتنـوع.

عشـرون عامـاً مضـت، كانـت حافلـة بالعطـاء والتميّـز، شـهد فيهـا الملتقـى نقلـة نوعيـة، وتطـوراً شـاملاً في رؤيتـه وبنيتـه ومحتـواه، حتـى غـدا حدثـاً محوريـاً علـى خريطـة العمـل الثقـافي في الإمـارات والوطـن العربـي، والعالـم أجمـع، يترقّبـه الـرواةُ وحملـةُ الموروث الشـعبي، والباحثـون والمهتمـون كل عـام، وجَعَـل الشـارقةَ وِجْهـة وواجهـةً للتـراث، وقِبْلَـةً يؤمّهـا الـرواة والخبـراء والباحثـون مـن كل مـكان، وأنموذجـاً رائـداً يُحتـذى بـه، في حمايـة الكنـوز البشـرية، وحفـظ التـراث وحمايتـه، وصونـه مـن الضيـاع والاندثـار، وذلـك مـا يتجلـى بوضـوح في شـعارات الـدورات السـابقة: مـن مثـل: «فنـون الـراوي، جُحـا.. تـراث إنسـاني مشـترك، السـيّر والملاحـم، الحكايـات الخرافيـة، ألـف ليلـة وليلـة، الاحتفـال بالعشـرين».

عشـرون عامـاً بـوّأت التـراثَ وحمَلَتَـه المكانـة العاليـة التـي يسـتحقونها، والتقديـر الـذي يليـق بهـم. عشـرون عامـاً تعيدنـا إلـى الشـرارة الأولـى التـي واكبـت انطلاق برنامـج الـراوي، الـذي كان الشـمعة التـي أضاءت سـيرة الـرواة، وأعـادت لهـم الاعتبـار والتقديـر، لاسـيما رواةُ الإمـارات والخليـج العربـي، قبـل أن تشـمل رواة العالـم كلّـه، في ملتقـى سـنوي تلتقـي فيـه أفئـدة حملـة التـراث الثقـافي، والمشـتغلين فيـه، والغيوريـن عليـه، ويذكـي جـذوة الوعـي والبحـث والدراسـة والتوثيـق لمختلـف موضوعـات التـراث الشـفاهي، ولعـل في إصـدارات المعهـد، التـي جـازوت الـ300 عنـوان، خيـر برهـان علـى ذلـك الحصـاد الجميـل.

عشـرون عامـاً كانـت نافعـةً وحافظـةً ورافعـةً للـرواة ومعارفهـم الشـعبية، بفضـل دعمكـم وتشـجيعكم - يـا صاحـب السـمو - وهـي سـانحة طيبـة، سـعينا مـن خلالهـا، عبـر الملتقـى وبرنامـج الـرواة في معهـد الشـارقة للتـراث، إلـى الاهتمـام بالكنـوز البشـرية الحيّـة، والاحتفـاء بهـم، تماشـياً مـع توجيهـات منظمـة اليونسـكو. وقـد أفردنـا في هـذا العـدد مسـاحة للحديـث باسـتفاضة عـن دور الملتقـى في حمايـة الكنـوز البشـرية وتكريمهـم عبـر دوراتـه المتتاليـة، مـع اسـتعراض مسـيرة الملتقـى، وأبـرز البرامـج والأنشـطة المرافقـة لـه. كمـا اشـتمل العـدد علـى تفاصيـل الـدورة الجديـدة مـن الملتقـى الـذي بـدأ في 22 سـبتمبر 2021، ويسـتمر لغايـة 30 مـن الشـهر نفسـه، تحـت شـعار: «قصـص الحيـوان»، حاويـاً موضوعـات خصبـة وغنيـة عـن هـذا المبحـث التراثـي العربـي، بالإضافـة إلـى مقـالات غنيـة ومتنوّعـة.

محتويات العدد

سلطان بن أحمد القاسمي يفتتح فعاليات النسخة ال 21 من ملتقى الشارقة الدولي للراوي
10

الافتتاحية
د. عبدالعزيز المسلّم
4

ورش استباقية تحتفي بقصص الحيوان
16

من إصدارات الملتقى
18

دورات الملتقى
20

تجليّات قصص الحيوان في التراث العربي
28

أمهات التراث العربي
34

الرمزية الفنية في حكايات الحيوان التراثية
40

الجاحظ ودوره التوثيقي في الحفاظ على تراث الحيوان في كتابه «الحيوان»
46

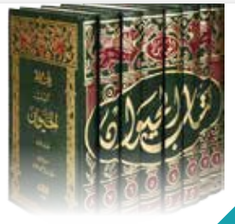
قراءة في كتاب الحيوان للجاحظ
50

الحكاية والقناع في التراث العربي
56

تجليات الحيوان في موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي
62

نظرات في طبائع الحيوانات الأليفة في التراث العربي (القط)
68

منظومة حياتية كاملة للحيوانات في تاريخ البشرية
74

النص بين الذئب والإبل
78

طيور الصيد في تراثنا العربي
82

صورة الراوي في ذهنية المتلقي
88

سلطان القاسمي والغرس الذهبي
98

توثيق الرواية الشفهية
بدولة الكويت «
94

الحيوانات في ثقافات الحضارات
القديمة وأساطيرها
100

«من لا ماضي له.. لا حاضر له»
104

الراوي بين التراث الشعبي
والتكنولوجيا الحديثة
106

أنسنة الحيوان في «ألف ليلة وليلة»
110

حكايات الحيوانات في الهند
114

شرفة
د. منّي بونعامة
116

“Al Rawi”
(narrator)….20
years of giving
118

معهد الشارقة للتراث
SHARJAH INSTITUTE FOR HERITAGE

800TURATH
هاتف: 5092666 6 971+
انستغرام: marawed_sih
الموقع الالكتروني: www.sih.gov.ae

ISBN 978-9948-37-768-9

مراود
مجلة منوعة تعنى بالتراث الثقافي

رئيس التحرير
د. عبد العزيز المسلم
رئيس معهد الشارقة للتراث

مستشار التحرير
د. ماجد بوشليبي
رئيس جمعية المكتبات والمعلومات

مدير التحرير
د. منّي بونعامة
مدير إدارة المحتوى والنشر

هيئة التحرير
أ. علي العبدان
أ. عتيج القبيسي
أ. عائشة الشامسي
أ. سارة إبراهيم

سكرتير التحرير
أحمد الشناوي

التصميم والإخراج الفني
منير حمود

التدقيق اللغوي
بسام الفحل

التصوير
قسم الإعلام

سلطان بن أحمد القاسمي يفتتح فعاليات النسخة الـ 21 من ملتقى الشارقة الدولي للراوي

افتتح سمو الشيخ سلطان بن أحمد بن سلطان القاسمي، نائب حاكم الشارقة، صباح اليوم الأربعاء فعاليات النسخة الـ 21 من ملتقى الشارقة الدولي للراوي الذي ينظمه معهد الشارقة للتراث تحت شعار "قصص الحيوان"، وذلك في مركز إكسبو الشارقة.

وكان في استقبال سموه فور وصوله كل من الشيخ ماجد بن سلطان القاسمي مدير دائرة شؤون الضواحي والقرى، وعبدالله بن محمد العويس رئيس دائرة الثقافة، والدكتور عبد العزيز المسلم رئيس معهد الشارقة للتراث، وسالم يوسف القصير رئيس هيئة تطوير معايير العمل، وعيسى هلال الحزامي رئيس مجلس الشارقة الرياضي، وعدد من مدراء ومسؤولي الدوائر والهيئات الحكومية وممثلي المنظمات الثقافية.

جال سموه في مختلف أرجاء الملتقى الذي يستمر حتى الثلاثين من الشهر الجاري، بمشاركة أكثر من 38 دولة من مختلف أنحاء العالم، واطلع سموه على المشهد الإبداعي للكنوز البشرية الحية، واستمع إلى شروحات حول الملتقى وأهميته ومسيرته على مدار 21 عاماً، وما حققه من أجل استمرار ترسيخ وتعزيز دور ومكانة الراوي في المجتمع.

والتقى سموه بالضيوف والمشاركين وتبادل معهم أطراف الحديث عن الراوي ومكانته وأهمية

الاستمرار في نهج الحفاظ على الرواة ككنوز بشرية حية، تحمل على كاهلها وروحها كل القصص والحكايات والأحلام والآمال التي تشكل زاداً معرفياً وفكرياً وثقافياً ملهماً تحتاجه البشرية جمعاء في كل مكان وزمان.

وتضمنت فعاليات الافتتاح عرضاً بتقنية الهولوغرام حول شعار الملتقى بالإضافة إلى أغنية حول أهمية الملتقى ودور صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة في دعم الثقافة والتراث واستمرارية الملتقى وتطوره.

وفي كلمته خلال حفل الافتتاح قال الدكتور عبد العزيز المسلم، رئيس معهد الشارقة للتراث، رئيس

اللجنة العليا المنظمة للملتقى يسعدنا حضور سمو الشيخ سلطان بن أحمد القاسمي نائب حاكم الشارقة، لتدشين فعاليات النسخة الحادية والعشرين من ملتقى الشارقة الدولي للراوي، ما يشكل لنا المزيد من العمل الجاد والاشتغال الحيوي من أجل الاستمرار في نهج النجاح والتميز في ظل دعم بلا حدود من قبل صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة.

وأكد رئيس معهد الشارقة للتراث، أن ملتقى الشارقة الدولي للراوي يعتبر رحلة ثقافية تراثية معرفية مميزة، تتجدد كل عام في رحاب التراث الثقافي، نستكشف من خلالها معارف عديدة وأسماء جديدة في حقل التراث الثقافي من مختلف أنحاء العالم، وفعاليات الملتقى هذا العام تعد إضافة جديدة

ونقلة مهمة تضاف إلى سيرته الثرية ومسيرته الزاخرة بالنجاح والتقدم والازدهار، فقد تحول شهر سبتمبر كاملاً إلى شهر الراوي والملتقى.

وأشار الدكتور المسلم إلى استمرار سعي المعهد إلى تطوير هذه الفعالية التراثية في مختلف المجالات، خصوصاً أن الملتقى يسعى دوماً إلى لفت الأنظار لأهمية الموروث الشفاهي، وضرورة الاهتمام بحملته من الكنوز البشرية الحية، كما أنه أصبح تقليداً تراثياً راسخاً ضمن مناسبة تتجدد سنوياً حافلة بتشكيلة مبتكرة من الفعاليات التراثية المهمة، ومحتفية بالكنوز البشرية الثمينة التي تعتبر مصادر مهمة للتراث والتاريخ، وهو محطة يتجدد فيها اللقاء مع الرواة والإخباريين والحكواتيين، ويؤمها حملة التراث الشعبي ومحبيه من كل مكان، فها هو الملتقى الذي حلق عالياً بدءاً من المحلية ليصل

إلى الإقليمية والعالمية، ليصبح ملتقى دولياً وحدثاً ثقافياً يترقبه الجميع.

وتفضل سمو الشيخ سلطان بن أحمد بن سلطان القاسمي بتكريم الشخصية المكرمة لهذا العام ومجموعة من الرواة بالإضافة إلى الراوي الصغير.

ويحتفي الملتقى في نسخة هذا العام بجمهورية السودان كضيف شرف، ممثلةً في الدكتور أحمد عبد الرحيم نصر، الشخصية الفخرية المكرّمة هذا العام، تقديراً لإسهاماته في مجال التراث الثقافي، كما يحتفي الملتقى بالحكواتي التونسي عبد العزيز العروي، بوصفه الشخصية الاعتبارية احتفاءً بما تركه من موروث حكائي زاخر.

ويشهد الملتقى هذا العام مشاركة متميزة أكثر من 38 دولة، تتنوع مشاركتها في مختلف برامج وفعاليات

الملتقى من ندوات ومحاضرات وجلسات تستعرض العديد من المقاربات العلمية المهمة حول قصص الحيوان بمشاركة نخبة من الخبراء والباحثين والكتّاب من أكثر من 38 دولة هي الإمارات، والبحرين، والسعودية، وعُمان، والكويت، والعراق، واليمن، وفلسطين، وسوريا، ولبنان، ومصر، وتونس، والجزائر، والمغرب، وموريتانيا، والسودان، والسنغال، وكينيا، وجزر القمر، والهند، والفلبين، وقيرغستان، وتركيا، وبوليفيا، وإيطاليا، وألمانيا، وإسبانيا، والدومينيكان، وفنلندا، وتشيلي، وبيرو، والمكسيك، وكندا، ورومانيا.

كما تشهد هذه الدورة مشاركة عددٍ من المنظمات والمراكز الثقافية والجامعات والمعاهد، وهي: اليونسكو، والإيسيسكو، والألكسو، وجمعية منية مراكش لإحياء تراث المغرب وصيانته، ومجلس شما محمد للفكر والمعرفة، وجمعية لقاءات للتربية والثقافات من المغرب، ومدرسة مراكش للحكي. كما تشارك جهات حكومية عديدة في فعاليات هذه الدورة، وهي: مؤسسة الشارقة للفنون، وهيئة البيئة والمحميات الطبيعية بالشارقة، ونادي تراث الإمارات، وأكاديمية الفجيرة للفنون.

ويشتمل البرنامج الفكري المصاحب للملتقى على محاضرات متنوعة، وندوات مختصة، وجلسات حوارية، ومقهىً ثقافي، وركناً خاصاً بتوقيع إصدارات الملتقى، وتتناول الجلسات موضوعات متنوعة؛ من بينها فن المنمنمات في الحضارة الإسلامية، وألسنة الحيوان في الرواية العربية، والحيوان في سرديات مصر القديمة، وقصص الحيوان في التراث العربي والعالمي، وغيرها، كما يشارك نخبة من الفنانين الإماراتيين والعرب، من أبرزهم الفنان يحيى الفخراني، وهالة فاخر من مصر، ومحمد ياسين من البحرين، وسناء بكر يونس من السعودية، والدكتور حبيب غلوم وجاسم عبيد من دولة الإمارات.

وبهدف التعريف بالملتقى بين الجمهور وتمكينهم من متابعته، سواءً خارج دولة الإمارات أو خارجها، تتضمن دورة هذا العام مجموعة من الفعاليات الافتراضية التي تبث عن بُعد، ومنها بعض ندوات المقهى الثقافي، وسرد حكايات من هنا وهناك، ومشاركة مدرسة الحكاية بمراكش، ونقل حي لأحداث الملتقى في بعض الدول العربية، عبر الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي.

ورش استباقية تحتفي بقصص الحيوان

ضمن البرنامج المصاحب لملتقى الشارقة الدولي للراوي في نسخته الـ 21، نظمت اللجنة العليا عدداً من الورش الاستباقية، منها ورشة «تصميم شخصيات كليلة ودمنة»، قدمها أحمد منار اللحام، وتعنى بتصميم الشخصيات ورسم قصص الحيوان.

وتضمنت الورشة محاور عدة، ففي اليوم الأول تم تقديم نبذة تعريفية عن تصميم الشخصيات، وفي اليوم الثاني يتم بدء العمل بتصميم الشخصيات ورسم قصص الحيوان، وفي اليوم الثالث تم عرض الأعمال المنتجة في الورشة، حيث تستهدف الورشة الأطفال من سن 12 سنة فما فوق.

ويتضمن كتاب كليلة ودمنة، مجموعة من القصص، وترجمه عبدالله بن المقفع إلى اللغة العربية في العصر العباسي، في القرن الثاني الهجري، (الثامن الميلادي)، وصاغه بأسلوبه الأدبي مُتصرفاً به عن الكتاب الأصلي الفصول الخمسة، وتذكر مقدمة الكتاب أن الفيلسوف والحكيم الهندي بيدبا، عمل على تأليف الكتاب لملك الهند دبشليم؛ حيث استخدم المؤلف الحيوانات والطيور كشخصيات رئيسية فيه، تركز إلى شخصيات بشرية وتتضمن القصص موضوعات عدة، من أبرزها العلاقة بين الحاكم والمحكوم، إضافة إلى عدد من الحكم والمواعظ.

«روح الحكاية»

لا قت ورشة «روح الحكاية» في كتابة قصص الحيوان، تفاعلاً حيوياً لافتاً من قبل الأطفال واليافعين الذين شاركوا في الفعاليات في مقر معهد الشارقة للتراث، ومكتب المعهد في دبا الحصن، ونادي الذيد الثقافي الرياضي، والتي قدمها قاسم سعودي الشاعر والقاص المتخصص في الكتابة للأطفال، واستهدفت الأطفال واليافعين من سن 8 إلى 15 عاماً.

جاءت الورشة في عدة محاور، من أبرزها: لماذا نحب قصص الحيوان، قصص الحيوان في التراث الشفاهي العربي، طاقة الخيال، فكرة الحكاية، تمارين وتطبيقات سردية، وعملت على تحقيق حزمة من الأهداف تقف في مقدمتها تعزيز الحضور الإبداعي والجمالي لقصص الحيوان في التراث العربي، من خلال ثلاثية الأصالة والمعاصرة والمستقبل، عبر تقديم أهم الطرق والأساليب الحديثة في كتابة قصص الحيوان، ما يسهم في إثراء الذاكرة اللغوية والتعبيرية لدى المشاركين، وفتح باب المخيلة مصحوباً بالأفكار الجديدة التي تتفاعل مع المخزون الجمالي لحضور الحكاية في التراث المادي والشفاهي الزاخر بالتجديد والإبداع.

«فن التذهيب»

كما تم تنظيم ورشة بعنوان «فن التذهيب»، قدمها الخطاط العراقي مصعب شامل الدوري في مركز المنظمات الدولية للتراث الثقافي.

وهدفت الورشة إلى تعليم المشاركين طريقة تذهيب المصاحف واللوحات الفنية، وكيفية كتابة الحروف العربية بالذهب وتطور استخدام الأدوات الخاصة بالخط مستهدفة الفئة العمرية 12 سنة وما فوق.

من إصدارات الملتقى

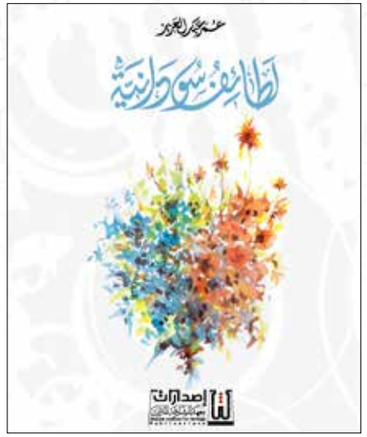

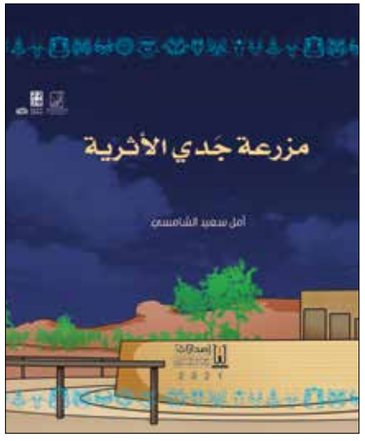

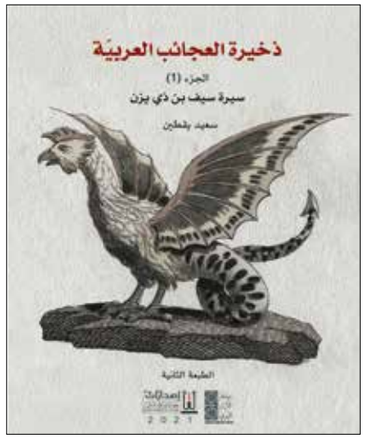

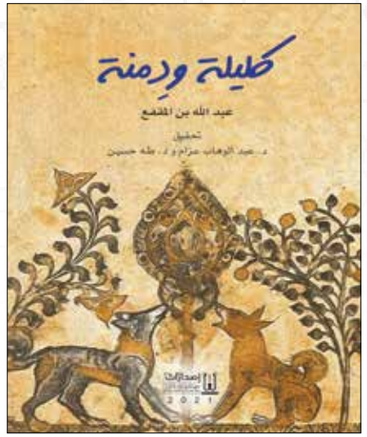

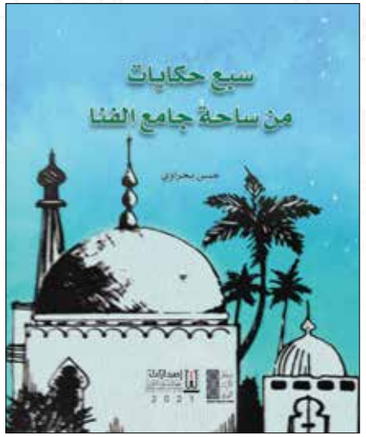

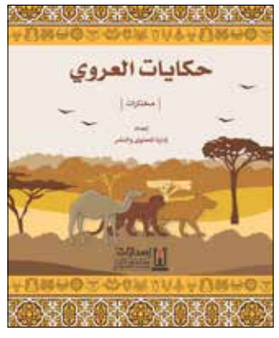

دورات الملتقى

كـرّم معهـد الشـارقة للتـراث مئـات الـرواة وحملـة التـراث الثقافي الإماراتـي، الذيـن أسـهموا إسـهامات قيّمة في حفظ المعارف الشـعبية والفنون التراثيـة، والذاكرة الجمعيّة للمجتمـع والدولـة، عبر سـنوات طوال، شـهدت فيها المنطقـة تحولات كبيـرة وكثيرة، طالـت مختلف بناها الثقافيـة والاجتماعية والاقتصادية، وأثـرت في نحلـة عيـش السـكان، ومصـادر الحيـاة، وقـد حولـت روايات أولئـك الرواة الأعـلام معلومـات غنية ومفيـدة ومتنوّعـة عن حياة السـكان في الماضـي، شـملت حكايـات وقصصـاً وأخبـاراً وسـيراً، عملـت كلهـا – ضمن جهـود المعهد

– علـى حفظ التـراث ونقله للأجيـال المتعاقبة بأمانة وموضوعيـة.

من المحلية إلى العالمية

يعـدّ تكريم أولئك الشـموس الأعلام، والـرواة الأفهام، منـذ عـام 2001 – ضمـن برنامج يـوم الـراوي، الذي توسّـع نطاقـه؛ ليصبـح حدثـاً دوليـاً محوريـاً، تحـت شـعار ملتقـى الشـارقة الدولـي للـراوي – أمـراً مـن الأهميـة بمكان، ولمسـة وفاء درج المعهـد عليها، وكانت ديدنـه علـى الدوام، وتحيـة تقدير وإجـلال لمن عمروا الأرض حينـاً من الدهر، وعمروهـا بمعارفهم، وتراثهم الزاخـر، قبـل أن يرتحلوا في هدوء وسـكينة إلى العالم الآخـر، تاركين وراءهم كمّاً هائـلاً مما وعته صدورهم، وحوتـه بطون الكتـب لاحقاً بعد تسـجيلها.

وتشـكل مرويـات أولئـك الصفـوة سـجلاً تراثيـاً

وتاريخياً غنيّاً، يوثّق جوانب من الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية لدولة الإمارات، كما يحتفي بتراث الآباء والأجداد الذين كرّسوا أنفسهم وحياتهم للمحافظة على تراثهم الأصيل، الذي يعبر بجلاء عن الخصوصية المحلية، والهوية الوطنية للمجتمع والدولة؛ لذلك آلينا إلّا أن نوثّق سير أولئك الصفوة ومسيرتهم، ضمن تقليد سنوي، أخذ معهد الشارقة للتراث على عاتقه القيام به، من أجل تعريف الأجيال الصاعدة من الأبناء والنشء والشباب بسير أولئك الرواة والإخباريين، ودورهم الرائد في صون التراث الثقافي الإماراتي، وحفظه من الضياع والاندثار، عبر دورات متتالية نستعرضها إجمالاً فيما يلي:

الدورة الأولى (2001/9/27م)

الراوي الرئيس: راشد عبيد الشوق

الرواة الفرعيون: خليفة بن قصمول، جمعة بن حميد، عائشة عبدالله (أم إبراهيم)، عيدة فرحان.

الدورة الثانية (2002/9/27م)

الراوي الرئيس: النهام جمعة فيروز أبوسماح

الرواة الفرعيون: سلطان بن زويد، سالم بن معدن.

الدورة الثالثة (2003/9/27م)

الراوي الرئيس: جمعة بن حميد آل علي

الرواة الفرعيون: عثمان باروت، سهيل مبارك.

الباحثون الأكاديميون: عبدالله الطابور، عبدالله بن عبدالرحمن، علي المطروشي، نجيب الشامسي.

الإخباريون: ناصر الكاس، عبيد بن صندل.

الدورة الرابعة (2004/9/27م)

الراوي الرئيس: رائد البريد أحمد عبدالرحمن الشامسي

الفرعيون:

الراوي خميس بن زعل الرميثي.

الدورة الخامسة (2005/9/27م)

الراوي الرئيس:

النوخذة علي عبدالله الميرزا

الرواة الفرعيون:

خليفة الفقاعي.

راشد الصوري.

عائشة خميس بورشيد.

حليمة عبيد زايد.

فاطمة صقر النعيمي.

الدورة السادسة (2006/9/26م)

سعيد الصواية.

محمد خلفان الرويمة.

منيرة المزروع.

الدورة السابعة (2007/9/27م)

الرواة الفرعيون:

سيف بن غليطة.

عبيد بن معضد النعيمي.

الدورة الثامنة (2008/11/27م)

راشد بن عبيد الطنيجي.

كداش بن خميس بن عثمان.

سعيد بن سبت الظهوري.

علياء بنت محمد الرشدي.

روية بنت خليفة الطنيجي.

الدورة التاسعة (2009/9/28م)

راشد ناصر عيسى الزري.

محمد علي محمد بن بريهيم المسافري.

الدورة العاشرة (2010/9/30-29م)

الراوي الرئيس: آمنة بنت عبيد المطروشي

الرواة الفرعيون: مريم سالم ربيع.

خلفان بن محمد بن ملهم الظاهري.

محمد علي سعيد بريق اليماحي.

الدورة الحادية عشرة (2011/9/27-26م)

عثمان باروت سليم الباروت.

حمامة عبيد الطنيجي.

مريم عبيد سعيد الشامسي.

محمد بخيت السويدي.

علي بن جمعة السويدي.

الدورة الثانية عشرة (2012/9/27-26م)

الرواة من دولة الإمارات العربية المتحدة:

مريم هلال الزعابي.

موزة بنت علي بن حارب.

علياء بنت علي بن شايم.

سالم سيف عبيد العسم.

دول الخليج العربي:

هيا عبدالله ابراهيم الجودر ـ البحرين.

محمد نجيب أحمد تاتيتون ـ البحرين.

عبدالله علي الفليح ـ الكويت.

محمد بن علي الشرهان ـ السعودية.

ناصر بن عبدالله المسيميري ـ السعودية.

ماجد محمد أحمد الكواري ـ قطر.

إبراهيم بن علي المريخي ـ قطر.

سعيد بن سلطان بن يعرب البوسعيدي (ضيف شرف من سلطنة عمان).

خميس بن جمعة بن خميس المويتي.

خميس بن مسعود بن عثمان النعماني.

الدورة الثالثة عشرة (2013/9/26-25م)

سيف بن سالم الرزة.

خميس سعيد سيف المزروعي.

محمد مطر الرزة.

علي بن محمد الشمام.

مريم بن سمحة.

راشد الزعابي.

علي مطر الشامسي.

الدورة الرابعة عشرة (24-2014/9/25م)

فاطمة عبدالله سعيد مخلوف النقبي.
بخيت ناصر حميد المهيري.
حلاوة سعيد خميس.
مهنا بن هزيم القبيسي.
سهيل راشد محمد الطنيجي.
عتيق محمد سالم بن خرسان الرميثي.
سيف المنصوري.
عبدالله علي الناعور.
الشيخ أحمد التوني ـ رحمه الله ـ من مصر.
الشيخ سيد الضوي من مصر.

الدورة الخامسة عشرة (27/9-1/10 2013م)

راشد جمعة الطنيجي.
خلفان محمد النقبي.
محمد راشد النساي.
علي يوسف القصير.
علياء مصبح المهيري.
لطيفة محمد مبارك الرفيسة.
عمران سلطان مرداس.

الدورة السادسة عشرة (26-2016/9/28م)

فاطمة بنت سعيد بودلوخ.
موزة محمد سيف المعمري.
أحمد عبيد أحمد الهماد الكندي.
محمد سعيد علي بن سعيدوه الخالدي.
حارب جمعة سعيد الصواية النعيمي.
جمعة بن عبدالله بن جمعة المراشدة.
حسن سليمان الأقرح الظهوري.
عبدالله خميس الأحبش النقبي.
سليمان راشد عبد الله راشد الكابوري.

الدورة السابعة عشرة (25-2017/9/27م)

الدكتور يعقوب الحجي
المؤرخ عمران بن سالم عبدالله
الشاعر عبدالله المهيري
الراوي خلف محمد سعيد الدالي
الراوي سالم بن سعيد مهيري الكتبي
الراوي خلفان سعيد بن جرش الكتبي

الدورة الثامنة عشرة (24-2018/9/26م)

الدكتورة أنيسة فخرو (الشخصية المكرّمة في الملتقى).
الرواة: فاطمة راشد حمدان النقبي – حمد بن حميد بن سعود الخاصوني – جمعة بن حسن جمعة مبارك بسير – سعيد بوزنجال – حسن يوسف حسن الزعابي.

الدورة التاسعة عشرة (24-2019/9/26م)

روبيرتا آي دي (الشخصية المكرمة في الملتقى).
الرواة: عبدالله بن سالم بن ذيبان الشامسي – راشد علي سالم الضبعة الكتبي – سعيد سيف الطنيجي – فاطمة سعيد عبيد العليلي – ديفيد نيلد – فلهمينا فان دي دوج.

الدورة العشرين (26-2020/9/28م)

الشخصية المكرمة (الدكتورة آني طعمة ثابت من لبنان).
الرواة: سيف محمد سيف القراعة النعيمي – عائشة عبدالله محمد النقبي – علي محمد علي تشون الظهوري – عبيد راشد عبيد غدير الكتبي – محمد سعيد محمد القايدي – محمد حمدان الحنطوبي النقبي – سيف خليفة راشد بن سمحة الشامسي – الدكتور عبدالستار العزاوي.

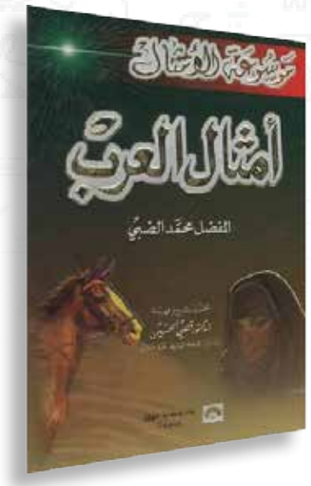

تجليّات قصص الحيوان في التراث العربي

فهد علي المعمري
باحث – الإمارات

كان الحيوان – ولايزال – محط اهتمام الإنسان العربي، ابتداء بعصر ما قبل الإسلام، ومروراً بالعصور الإسلامية المختلفة، وانتهاءً بعصرنا الحديث. والسؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا هو: لماذا هذا التقارب بين الإنسان العربي والحيوان؟ وما سرّ هذا الالتصاق العاطفي والأدبي، لاسيّما الإبل والخيول التي أخذت النصيب الأوفر في المصادر العربية، ثم أتت بعض الحيوانات لتأخذ لها مكاناً أكبر ومساحة متسعة في المصادر العربية، مثل الطيور التي كانت تتخذ للصيد والقنص واللهو، وما لبث الأدب العربي بعد كتاب كليلة ودمنة أن يأخذ من الحيوانات مادة أدبية للتأليف، بداية بسهل بن هارون والجاحظ ووصولاً إلى الوطواط والدميري حيث كان الحيوان بمختلف أجناسه مادة للتأليف؟

اهتم المؤلفون العرب بتأليف الكتب التي تتحدث عن الحيوان، ولم تكن هذه المؤلفات مطلقة في عموم الحيوانات، ولكن جاءت ممنهجة ومقيّدة بتصنيفات عديدة، يمكن إحصاؤها في عشرة تصنيفات، هي:

1 ـ الكتب الناطقة بلسان الحيوان.

2 ـ كتب الأمثال والذوات.

3 ـ كتب الحيوان.

4 ـ كتب الأدب.

5 ـ كتب الهدايا والتحف.

6 ـ كتب الرحلات والعجائب.

7 ـ كتب البيطرة والبيزرة والصيد.

8 ـ كتب ذكر جنس محدد من الحيوان، ككتاب الخيل وكتاب الشاء وكتاب البغال وكتاب الإبل.

9 ـ المعاجم اللغوية.

10 ـ دواوين الشعراء.

وهذه التصنيفات تضم مئات العناوين المؤلفة في الحيوان، وكل تصنيف يتبع منهجا محددا لعرض المحتوى الخاص بالحيوان؛ لذا جاءت المصادر العربية بأشكال متنوعة في التأليف الخاص بالحيوان، ولنتحدث عن هذه المؤلفات من خلال التصنيفات المذكورة، وهي على سبيل المثل لا الحصر، ونبدأ بالكتب الناطقة بلسان الحيوان، وإنما جاءت بلسان الحيوان؛ لأنها كانت تتحدث عن الحكم والتدبير والسياسة والرياسة؛ لذا كان المؤلفون يجتبون ذكر الملوك والرؤساء والأمراء، ويستعيضون بذكر الحيوانات، وطرح الكلام المراد الحديث عنه دون تحرّج أو جلب المشاحنات والأذى. ومن هذا التصنيف:

1. ترجمة ابن المقفع كتاب «كليلة ودمنة»، حيث كانت القصص تدور على ألسنة الطير والحيوان، وهو كتاب يصوّر البهائم والطير كائنات عاقلة مفكّرة مدبرة، تخضع لنوازع الغرائز وشهوات النفوس، خضوعها إلى الاعتبار بالأحداث، والاحتكام إلى الضمير، والرغبة في التفلسف، واستخلاص العظة أو المثل من المواقف والعلاقات.

2. كتاب ثعلة وعفرة لسهل بن هارون.

3. كتاب النمر والثعلب لسهل بن هارون، وهذا الكتاب يقوم على ثلاث شخصيات، هي الثعلب الحكيم، والذئب الجحود، والنمر الطاغي.

4. كتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، لابن عربشاه.

أما كتب الأمثال والذوات، فهي الأخرى تزخر بالحيوان، والأمثال هي كتب الأمثال العامة، أما

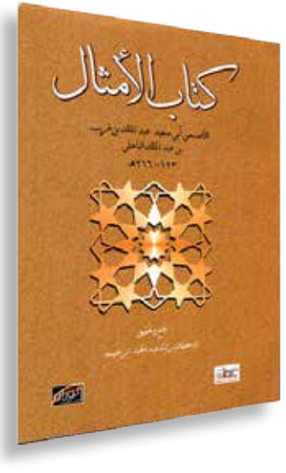

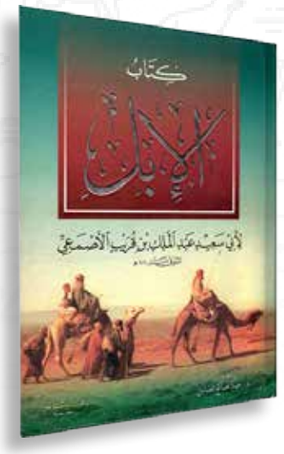

الذوات فهي الكتب التي تتحدث عن المضاف والمضاف إليه في بعض الكلمات، مثل أبو الأَبَد، وهو النسر، وأم الأشعث، وهي الشاة، وابن أروى، وهو الوعل. ومن كتب الأمثال التي ذكرت الحيوان:

1. كتاب مجمع الأمثال للميداني.
2. كتاب الأمثال لأبي الفيد مؤرج بن عمرو السدوسي.
3. كتاب الوسيط في الأمثال لعلي بن أحمد بن محمد الواحدي.
4. زهر الأَكَم في الأمثال والحِكَم للحسن اليوسي.
5. كتاب الفاخر في الأمثال للمفضل بن سلمة بن عاصم.
6. كتاب الأمثال للأصمعي.
7. كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري.
8. كتاب الأمثال المنسوب لزيد بن رفاعة الهاشمي.
9. كتاب سوائر الأمثال على أفعل لحمزة بن حسن الأصفهاني.
10. كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام.
11. كتاب أمثال العرب للمفضل الضبّي.

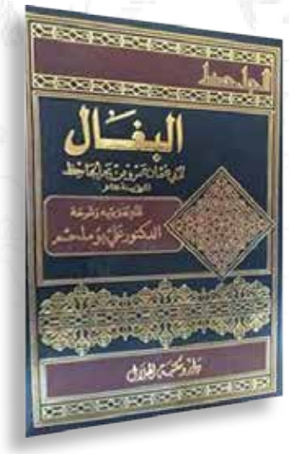

أما كتب الأذواء والذوات، فنذكر منها:

1. كتاب المرصع لابن الأثير.
2. كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي.

وأمّا كتب الحيوان، وهي الكتب التي ألفت في عموم الحيوان، وليست في حيوان مخصص، كما أنها تمثل كتاباً كاملاً مستقلاً للحديث عن الحيوانات، وليست جزءاً أو مجلداً من كتاب يتحدث في موضوع آخر غير الحيوان، ومنها:

1. كتاب الحيوان للجاحظ.
2. كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري.
3. كتاب مباهج الفِكَر ومناهج العِبَر لمحمد بن إبراهيم الوطواط.
4. كتاب الحيوان لأرسطو الذي نقله إلى العربية يوحنا ابن البطريق.
5. كتاب منافع الحيوان لعبيدالله بن جبرائيل بن بختشوع.

أما كتب الأدب فهي كثيرة، وجلّها قد أفرد للحيوان باباً أو فصلاً أو قسماً، أو جزءاً من هذه الأبواب أو الفصول أو الأقسام، وأحياناً كتاباً

كاملاً، ضمن المؤلف إن كان موسوعياً، وكانت أجزاؤه كثيرة، كما فعل ابن فضل الله العمري، في كتابه «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» فالكتاب يأتي في 27 مجلداً، وقد أفرد للحيوان مجلداً كاملاً، وتنوعت مضامين الحيوان في هذه الكتب، فبعضها جاء معجماً ألفبائياً للحيوانات، وبعضها جاء في أمثال الحيوانات، وبعضها جاء في ذكر الأمراض والعلاجات، وبعضها جاء في قصص وأخبار وأشعار.

وبالتالي فإن كتب الأدب والأسمار قد حفظت بين صفحاتها الكثير من قصص الحيوان وأخباره، لتشارك في تأليف المضمون الذي يكون بطله هو الحيوان، وهنا نورد العناوين على سبيل المثال لا الحصر؛ لأن المؤلفات كثيرة، وهدفنا هو الحديث عن تجليات قصص الحيوان في المصادر العربية، وليس ذكر المؤلفات في الحيوان، ومن هذه الكتب:

1. كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، وخصص للحيوان نصف الجزء التاسع مع الجزء العاشر بأكمله، في موسوعته التي تضم 33 جزءاً.
2. كتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري، وخصص الجزء العشرين، فقسم الأول بأكمله للحيوان، في موسوعته التي أتت في 35 جزءاً.
3. كتاب التذكرة الحمدونية، لابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي، وخصص للحيوان الجزء السابع والعشرين في المجلد الخامس للحيوان، وسمّاه: في الأوصاف والنعوت، وجاء بنعوت معظم الحيوانات.
4. كتاب عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، فقد خصص الجزء الثاني، وهو كتاب الطبائع والأخلاق المذمومة، للحديث عن طبائع الحيوان.
5. كتب العقد الفريد، لابن عبد ربّه، وخصص الجزء السابع من كتاب الزبرجدة الثانية، في بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان.
6. كتاب الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيّان التوحيدي، وخصص الليلة العاشرة في ذكر الحيوان، وتحدّث عن طبائعه وغرائبه وعجائبه وفوائده.
7. كتاب ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي، وقد ذكر الحيوان في 21 باباً من أبواب الكتاب البالغة 61 باباً.

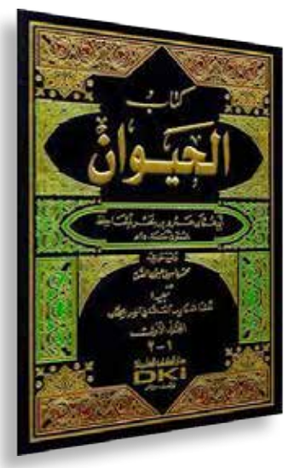

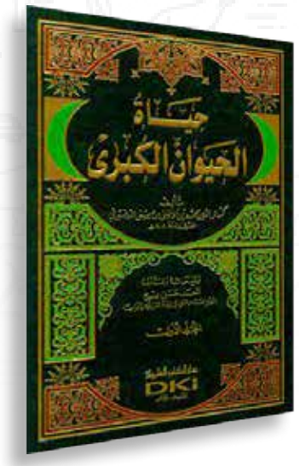

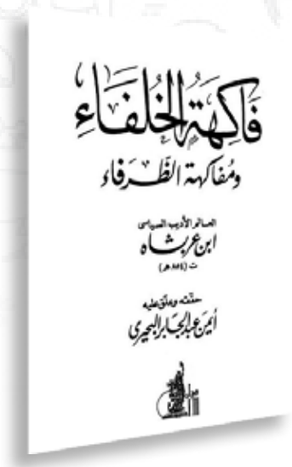

8. كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهاني، وجاء في الجزء الرابع، في الحد 24، وخصصه للحيوان.
9. كتاب منطق الطير لأبي حجلة التلمساني، وقد ذكر كثيراً من الحيوانات، وجعلها مبثوثة في صفحات كتابه.

أمّا كتب الهدايا والتحف، فقد كان لها نصيب في ذكر الحيوان، إمّا حيوان له روح، وإمّا مجسّم للحيوان، وأعظمها ما كان هدية بين الملوك والسلاطين، وما يهدى به إلى الخلفاء، ومن هذه الكتب:

1. كتاب الذخائر والتحف، للقاضي الرشيد بن الزبير.
2. التحف والهدايا، لأبي بكر محمد وأبي عثمان ابني هاشم الخالديين.

أمّا كتب الرحلات، وكتب عجائب الحيوانات، فقد كانت مادة وفيرة وغزيرة من ذكر الحيوان وقصصه التي أكثرها لا يقبله العقل، وتعد مادة غنيّة لأدب الخيال أو الأساطير، ومنها:

1. كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني.
2. كتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب، لابن الوردي.
3. كتاب نُخَب الدهر في عجائب البر والبحر، لشيخ الربوة.
4. كتاب المُعرِب عن بعض عجائب المَغرِب، لأبي حامد الغرناطي.
5. كتاب تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، لأبي حامد الغرناطي.
6. كتاب الصحيح من أخبار البحار وعجائبها، لأبي عمران موسى بن رباح السيرافي.
7. رحلة ابن بطوطة، لابن بطوطة.

أما كتب البيطرة والبيزة والطب فهي كثيرة، وذلك لاهتمام العرب والمسلمين بالخيل الذي من أجله نشأ علم البيطرة، ولعلاجات الحيوانات الأخرى من الطيور الجارحة، ونشأ بذلك علم البيزرة ومعه علم المصايد، ونذكر منها:

1. كتاب الكافي في البيزة، لعبدالرحمن بن محمد البلدي.
2. البيزة، لأبي عبدالله الحسين بن الحسين.
3. كتاب المصايد والمطارد، لأبي كشاجم.

أمّا كتب الحيوان المتخصصة بجنس واحد من الحيوان، فهي كثيرة جداً، وتزيد على المائة لو أحصيناها من مصادرها، وذلك أن علماء اللغة من القرنين الثاني والثالث الهجريين، قد ألفوا في هذا النوع العناوين الكثيرة، وكان جلّها إن لم يكن كلّها جاء في باب المعجم اللغوي لهذا الجنس من الحيوان، وجاءت في الخيل والإبل والشاء والبغال والإبل والوحوش، ومن هذه الكتب:

1. كتاب أنساب الخيل في الجاهليّة والإسلام، لابن الكلبي.
2. الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل، لعلي بن داود بن يوسف بن عمر الرسولي.
3. كتاب الشاء، للأصمعي.
4. كتاب البغال، للجاحظ.
5. كتاب الإبل، للأصمعي.
6. كتاب أسماء الوحوش وصفاتها، للأصمعي.

أمّا كتب المعاجم اللغوية فقد جاءت بالحيوان، وأخذت نصيباً وافراً منه، بيد أن كلّ هذه المعاجم هي المعاجم المعانية، وهو ما يعرف بمعجم المعاني، وهو المعجم الذي يقوم على الجنس البشري أو الحيواني أو النباتي أو الجمادي، والحديث عنه، وليس عن الكلمة وأصلها ومعناها، ومن هذه المعاجم نذكر منها:

1. كتاب المُخَصّص، لابن سِيده الأندلسي.
2. كتاب الجراثيم، المنسوب لابن قتيبة الدينوري.
3. كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، لأبي هلال العسكري.
4. الغريب المُصَنّف، لأبي عبيد القاسم بن سلّام.
5. كتاب كفاية المتحفّظ في اللغة، لابن الأجدابي.

أمّا التصنيف العاشر والأخير فهو دواوين الشعراء ابتداء بعصر ما قبل الإسلام، ومروراً بصدر الإسلام والدولة الأموية في المشرق المغرب ـ الأندلس ـ والدولة العباسيّة، وأكثرها ذكراً للحيوان دواوين شعراء ما قبل الإسلام، كأصحاب المعلقات والشعراء الصعاليك، إذ كثر فيها ذكر الناقة والفرس والخيل والكلب والبقرة الوحشيّة والثور الوحشي والأسود والنمور والضباع، وغيرها من الحيوانات.

وهذه المؤلفات هي معتصر المختصر، وإيرادها هنا للشاهد فقط، وليس للإحصاء والاستقصاء، وإلّا طال بنا الحديث، وخرجنا على الموضوع الذي من أجله بنينا هذا الكتاب، وهو تجليات قصص الحيوان في المصادر العربية، وهو الذي سوف نفصّل الحديث فيه، ونتحدث عنه بشيء من الإطالة في المبحث القادم.

1. كتاب الأعلام، الجزء الثالث، صفحة رقم 143، تأليف خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة عشرة 2005.
2. الأمثال أخذناها من كتاب المرصع، صفحة رقم 10، 14، 18، تأليف ابن الأثير، د.ن، طبع في مدينة قيمار الألمانية، 1899.
1. كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر، صفحة رقم 51.
2. المصدر السابق، صفحة رقم 54.
1. جميع الكتب التي ذكرناها هي الكتب المطبوعة؛ لذا لم نرد إثقال الصفحة بالهوامش، وإنما اقتصرنا فقط على ذكر بعضها القليل، الذي لم يزل مخطوطاً أو مذكوراً في بطون الكتب، وليس له وجود.

أمهات التراث العربي

إن الحكاية على لسان الحيوان نمط ذائع عند كل شعوب العالم، وقد عرفتها كل الحضارات، وهي من أقدم أنماط القص أو الحكي الشعبي القادرة على تجاوز الخطوط الرقابية الحمراء، كما أن لها القدرة على كسر حواجز اللغة والمكان والزمان مما ساهم في تنقلها بلا قيد، وقد وجد الكثير من هذا النوع من الحكايات في التراث العربي وقد وثقتها الكثير من الكتب والدراسات.

«كليلة ودمنة» لابن المقفع المتوفى 146هـ

كليلة ودمنة كتابٌ ألّفه الفيلسوف بيدَبا، وقد كان الكتاب باللغة الهندية، وكتبه بيدبا لينصح الملك دبشليم، ثم انتقل إلى اللغة الفارسية، وقام ابن المقفع بترجمته من الفارسية إلى العربيّة، والكتاب مبني على استنطاق الحيوانات

«الحيوان» للجاحظ المتوفى عام 255هـ

«الحيوان» هو كتاب أبي عثمان عمرو بن بحر الكناني الملقب بـ«الجاحظ»، وهو أضخم مؤلفاته على الإطلاق، حيث يعدّ دائرة معارف واسعة الأفق.

وهذا الكتاب أول كتاب جامع وضع في علم الحيوان باللغة العربية؛ لأن من كتبوا قبله عن الحيوان، مثل: الأصمعي وابن الكلبي، كانوا يتناولون حيواناً واحداً، وكانوا يهتمون بالحيوان اهتماماً لغوياً وليس علمياً، إلا أن الجاحظ اهتمّ إضافة إلى الجانب

بقصص لها عبر كثيرة مُفردَة في أبواب مختلفة.

وأما كليلة ودمنة وكلاهما ابن آوى، فهما رمز للصدق والكذب (على التوالي)، كما أنّ شخصيات الحيوانات تحمل صفاتٍ رمزية على الدوام، فالقرد شقي وقذر وغير مطيع، والحمار صافي الذهن، وهو يعبر عن الأشخاص الماكرين والمخادعين، والضفدع يرمز للأشخاص المشاكسين، والغراب يرمز للشخصية غير المبالية، وأما الغراب والفأر فيرمزان للشخصية الخجولة.

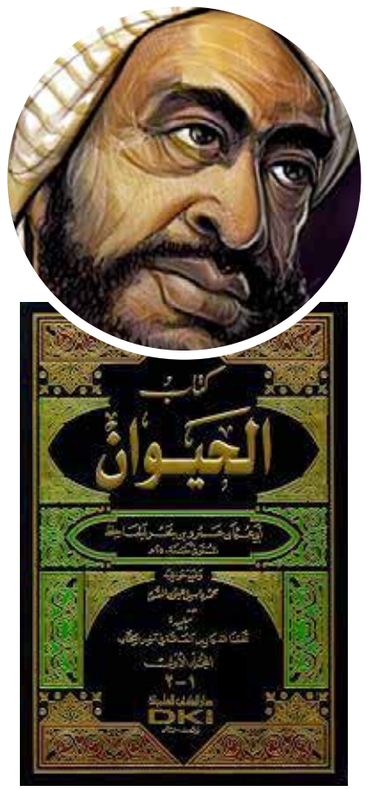

اللغوي بالبحث في طبائع الحيوان وغرائزه، وأحواله وعاداته، كما أنه تحدث عن العرب، وبعض أحوالهم وعاداتهم، وعلومهم مثل بعض مسائل الفقه، كما أنه ذكر صفوةً مختارةً من الشعر العربي والأمثال والبيان.

«عيون الأخبار» للدينوري 276هـ

يجمع هذا الكتاب علوماً شتى، وأمّلته طبيعتان: طبيعة العصر، وطبيعة المؤلف؛ فلقد كان العصر جامعاً لعلوم مختلفة، وثقافات متعددة، ويعد ابن قتيبة في كتابه هذا الأول من نوعه الذي التزم أسلوباً جديداً من حيث الاختيار، ثم التبويب، ثم الترتيب، وكان صاحب رسالة في تأليفه هذا الكتاب، الذي اشتمل على الأبواب التالية:

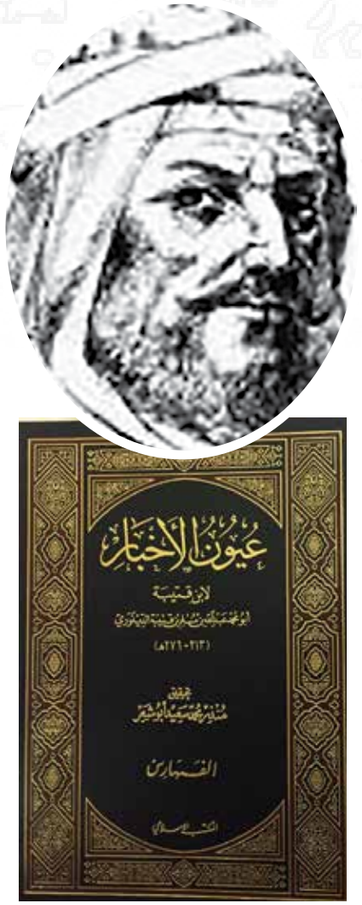

- كتاب السلطان: وفيه أخبار السلطان، وسيرته وسياسته.
- كتاب الحرب: وفيه الأخبار عن آداب الحرب ومكائدها.
- كتاب العلم والبيان.
- كتاب الزهد: وفيه أخبار الزهاد، وغير ذلك.

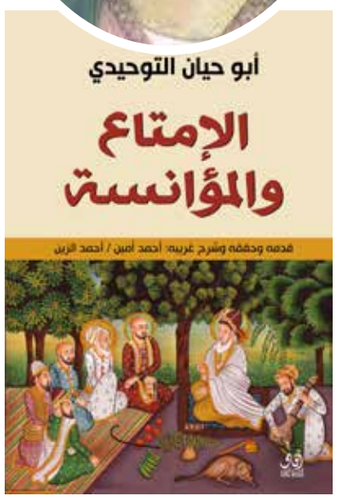

«الإمتاع والمؤانسة» للتوحيدي 414هـ

يعدّ كتاب «الإمتاع والمؤانسة» لأبي حيان التوحيدي، من الكتب المعبّرة عن صاحبها خير تعبير. وقصة الكتاب تتلخص في أن أبا حيان التوحيدي قد أرسل رسالة إلى صديقه أبي الوفاء المهندس، يقول فيها: خلصني أيها الرجل من التكفف، أنقذني من لبس الفقر، أطلقني من قيد الضد، استرني بالإحسان، أكفني مؤونة الغداء والعشاء، إلى متى الكسرة اليابسة، والبقيلة الذاوية، والقميص المرقع؟ وقد استجاب صاحبه إلى تلك الاستغاثة، بأن قدّمه إلى الوزير أبي عبدالله العارض، فجعله الوزير من سمّاره، وقد سامره أبو حيان ثمانٍ وثلاثين ليلة، وخصص الليلة العشرين لقصص الحيوان.

«عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» للقزويني عام ٦٨٢هـ

هـذا الكتـاب هـو في الأسـاس أشـبه بموسـوعة علميـة جغرافيـة طبيعيـة، تحـاول أن تنقـل إلـى قارئهـا مقـداراً كبيـراً جـداً مـن المعلومـات، بعضهـا عرفه المؤلف بالتجربة أو بالمعرفة العقلية، والآخر وصلـه - وأوصلـه إلينـا - بالاسـتناد إلـى مرويـات آتيـة مـن لـدن كثيـر مـن الشـعوب والحضـارات، مـن هنـا، يمكـن القـول إن هـذا الكتـاب يمثـل ذروة - أو تراكـم - مـا بلغتـه معرفـة الإنسـان بشـؤون الطبيعـة وأحوالهـا ومخلوقاتهـا في زمـن القزوينـي، ناهيـك عـن كونـه أيضـاً، وفي شـكل موارب بالتأكيـد، نوعـاً مـن التأمـل في نظـرة الإنسـان نفسـه إلـى مـا يعرفـه عـن الطبيعـة، ومـا يجهلـه أيضـاً مـن خفاياهـا ومدهشـاتها.

«مباهج الفكر ومناهج العبر» للوطواط المتوفى 718هـ

يعتبـر هـذا الكتـاب موسـوعة في العلـوم الطبيعيـة والجغرافيـة، المكتوبـة في بدايـة العصـر المملوكـي، إلا أن الطابـع الأدبـي غالـب عليـه، شـأنه شـأن (نهايـة الأرب) للنويـري، و(نخبـة الدهـر) لشـيخ الربـوة. وقـد بنـاه الوطـواط علـى أربعـة فنـون، هـي: (الفلـك، والجغرافيـا، والحيـوان، والنبـات)، وقسّـم كل فـن إلـى تسـعة أبـواب.

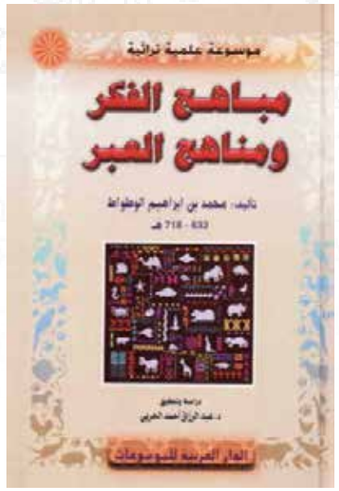

وقـد تنـاول الوطـواط في كتابـه معظـم العلـوم البشـرية المعروفـة في عصـره، ففـي المجـالات الأدبيـة اهتـم بالأنسـاب والتواريـخ والجغرافيـا، بمـا فيهـا مـن وصـف الأقاليـم، وذكـر مسـالك البلـدان، كمـا اهتـم بفـروع مـن العلـم الطبيعـي، كالنبـات والحيـوان والفلاحـة، والمعـادن والجواهـر.

«مسالك الأبصار في ممالك الأمصار» للعمري 749هـ

كتـاب مسـالك الأبصـار في ممالـك الأمصـار مـن أجـلّ الموسـوعات وأكثرهـا أهميـة، فهـو أقـدم مصـدر وصـف فيـه مصنّفـه دولـة المماليـك والـدول الإسـلامية المعاصـرة لهـا. ولكتـاب مسـالك الأبصـار شـهرة خاصـة، ومكانـة متميـزة بـين كتـب التـراث الإسـلامي، فمؤلفـه ابـن فضـل اللّه العمـري نقـل لنـا صـورة واضحـة عـن أحـداث عصـره السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة، فهـو يتحـدث عـن ممالـك الإسـلام المعتبـرة، وأمصـاره المترامية. وقـد أفـرد المؤلـف الجـزء العشـرين مـن كتابـه للحديـث عـن الحيـوان.

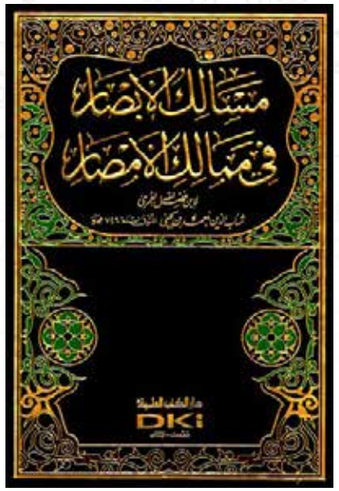

«حياة الحيوان الكبرى» للدميري 808هـ

كتـاب «حيـاة الحيـوان الكبـرى» هـو أشـهر كتـب الدميـري، وكان سـبب ذيـوع صيتـه في تـراث العلـم عنـد العـرب والغـرب، وهـو موسـوعة علميـة أدبيـة لغويـة، ويقـال إن الـذي دفـع الدميـري إلـى تأليـف هـذه الموسـوعة هـو رغبتـه الصادقـة في تصحيـح معلومـات خاطئـة في مجـال علـم الحيـوان، انتشـرت بشـكل مزعـج، حتـى بـين طبقـات المتخصصـين فيـه.

رتّـب الدميـري الحيوانـات التـي كتـب عنهـا ترتيبـاً أبجديـاً علـى طريقـة المعجـم، وتنـاول 1069 مـادة، يقـال إن العـدد الحقيقـي للحيوانـات فيهـا أكثـر مـن سـبعمئة بقليـل. وجمـع مادتـه مـن 560 كتابـاً، و199 ديوانـاً شـعرياً.

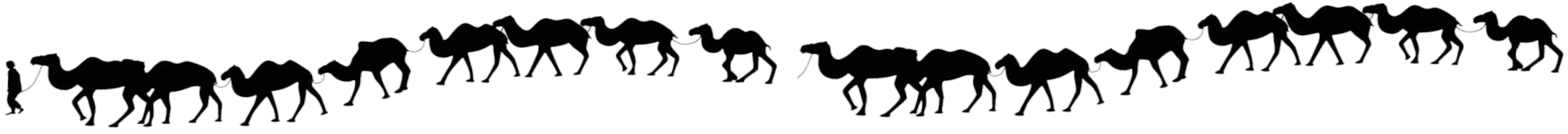

الرمزية الفنية في حكايات الحيوان التراثية

د. أحمد علواني
أستاذ مساعد النقد الأدبي
جامعة صحار بسلطنة عمان

الحيوان في موروثنا الحكائي:

يكتنز تراثنا الحكائي بالأعمال السردية التي وضعت الطيور والحيوانات في قالب سردي يؤشر إلى منظومة ترميزية، وذلك عندما اتجه كثيرٌ من الكُتّاب نحو صياغة أعمال سردية أبطالها ومعظم شخوصها من عالم العجماوات، فظهرت كتب من مثل: «كليلة ودمنة» لابن المقفع و«القائف» - وهو كتاب مفقود - و«الصاهل والشاحج» لأبي العلاء المعري، و«سلوان المطاع في عدوان الأتباع» لابن ظفر الصقلي، ورسالة «تداعي الحيوان على الإنسان» لإخوان الصفا، و«النمر والثعلب» لسهل بن هارون و«الأسد والغواص»، وهي حكاية مجهولة المؤلف، و«كشف الأسرار عن الحكم المودعة في الطيور والأزهار» لابن غانم المقدسي، و«منطق الطير» للنيسابوري، وأخيراً كتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» لابن عرب شاه.

كما حملت كتب التراث أشتاتاً من الخرافات عن الحيوانات والجمادات والأفلاك والنباتات، ولعل أشهر الكتب التي ظهر فيها هذا النوع من الأدب الرمزي، هي: «مجمع الأمثال» للميداني، ففيه نماذج من إنطاق الحيوانات كلاماً، وكذا كتاب: «الحيوان» «للجاحظ»، وكتاب «حياة الحيوان» للدميري، و«محاضرات الأدباء» للراغب، و«البصائر والذخائر» لأبي حيان، ولا ننسى حكايات الحيوان والطير التي يكتظ بها كتاب «ألف ليلة وليلة».

ازدهار الحكي على لسان الحيوان:

يزدهر الحكي على لسان الحيوان في الحقب التاريخية التي يسيطر عليها تحديات: (سياسية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية)، فيخشى المثقف أن يعبر عنها صراحة، ولاسيما في صراعه مع السلطة، ومن ثم يلجأ إلى التوظيف الرمزي للحيوان، فيحكي على لسان الحيوان جاعلاً الرموز الحيوانية هي من: تطرح التساؤلات، تتفق وتختلف، تتناقش بصدد موضوعات مختلفة في مجالات متعددة، تعرض المزايا والعيوب؛ ليتأثر بها الإنسان ويقارن فعلها بفعله عن طريق التعايش مع السرد بخياله، فتحصل له المتعة، وبالتفكير في كلام العجماوات بعقله يتوصل إلى المنفعة.

في البدء كان «كليلة ودمنة»:

يُعدُّ ابن المقفع ت152هـ المؤصل الأول أو المؤسس الحقيقي للحكي على لسان الحيوان، وذلك في تراثنا القصصي المدّون، حيث استعار «ما وضع على ألسنة البهائم والطير في خلق منظومة رمزية لنص مضاد للسلطة»[1].

ومن الجدير بالذكر أن غنيمي هلال، قد تتبع أشهر الأجناس الأدبية ودرسها في نواحيها المقارنة؛ ليوضح كيف تم تبادل الصلات بين الآداب المختلفة، وكان من ضمن هذه الأجناس التي رصدها (القصة على لسان الحيوان)، وقد توصل في دراسته إلى أن ترجمة ابن المقفع لكتاب «كليلة ودمنة»، من اللغة البهلوية إلى اللغة العربية كانت سبباً في خلق هذا الجنس الجديد في الأدب العربي القديم، ثم توالت المؤلفات التي حاكته ونسجت على منواله نظماً ونثراً، يقول غنيمي هلال:

«كانت ترجمة عبدالله بن المقفع هذه سبباً في خلق هذا الجنس الأدبي الجديد في اللغة العربية، ذلك أن حكايات الحيوان في الأدب العربي القديم قبل كليلة ودمنة كانت إما شعبية فطرية تشرح ما سار بين العامة من أمثال، وإما مقتبسة من كتب العهد القديم، أي ذات طابع ديني يتصل بالعقائد، وما عدا هذين فمتأخر عن كليلة ودمنة ومتأثر به»[2].

وقد شُغف الكُتّاب والشعراء بـ«كليلة ودمنة»، فأخذوا ينسجون على منواله، فمنهم من عارضه، ومنهم من نظمه شعراً، ومنهم من حذا حذوه فألّف وأبدع، ففي العصر العباسي الأول «عهد جعفر بن خالد البرمكي[3] إلى عبدالله بن هلال بترجمة الكتاب مرة ثانية له[4]، ولكن لم يصل إلينا شيء من هذه الترجمة». كما كلَّف جعفر، إبان اللاحقي نظم «كليلة ودمنة»، فنظمه في 14000 بيت، لم يبق منها سوى 76 بيتاً ذكرها الصولي في كتابه «الأوراق»، وهناك أيضاً: «نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة» للشريف ابن الهبّارية، المتوفى سنة 504هـ، وهو الذي ألف كتاباً آخر على شاكلته سماه (الصادح والباغم)، كما نظم الكتاب شعراء آخرون، منهم: علي بن داود، وبشر بن المعتمر»[5]، «ثم نظمه في عهد صلاح الدين، أسعد بن مماتي (ت606هـ) في مصر... ثم نظمه أيضاً عبدالمؤمن بن الحسن بن الحسين الصاغاني سنة 640هـ بعنوان: (غرة الحكم في أمثال الهنود والعجم)، كما نظمه جلال الدين الحسن بن أحمد النقاش، في القرن التاسع الهجري، وغيرهم كثير، كان آخرها في العصر الحديث منظومة الشيخ محمد بن عبدالرحيم ترة، المتوفى سنة 1931م، تحت عنوان: (زعموا أن) أو (كليلة ودمنة).. وللأسف، فإن كثيراً من هذه المنظومات قد ضاع، ولم

يصلنا، وبعضها لايزال حبيساً في مكتبات الغرب، خاصة فيينا وميونيخ ومكتبة المتحف البريطاني، وقلة قليلة هي التي طُبعت»[6].

وعلى هذا الأساس يُعدُّ كتاب كليلة ودمنة عمدة في تأصيله وتأثيره، فلم يقتصر تأثيره في المنظومات الشعرية، بل تعدى ذلك كله، حتى وصل إلى الكتابات الفلسفية والفكرية. فمن الفلاسفة «إخوان الصفا» في (القرن الرابع الهجري)، فقد وظفوا الحيوانات، وأجروا على ألسنتها آراءهم الفلسفية، فجاءت مبادئهم الفكرية داخل قوالب قصصية مبنية على الحوار والمناظرة لعالم الحيوانات والجن والإنسان، ففي رسالتهم «تداعي الحيوانات على الإنسان» تقرأ في نهايتها تصريح الإخوان بغرضهم وباعثهم الحقيقي من توظيف الحيوان «ونحن قد بيّنا في هذه الرسالة ما الغرض المطلوب على لسان الحيوان، فلا تظنن بنا ظن السوء، ولا تعد مقالتنا ملعبة الصبيان، ومخرفة الإخوان؛ لأن عادتنا جارية على أن نبين الحقائق بألفاظ وعبارات على وجه الإشارات وتشبيهات على لسان الحيوان»[7].

هكذا قام القص الرمزي بالدور المنوط به على أكمل وجه، لما وُجد فيه من خير معين، وأحسن خادم ومطيع، فعلى لسان الحيوان لبى المفكرون نداء أفكارهم المكبوتة، ووصل الكُتّاب إلى غاياتهم المقصودة.

ومن اللافت للنظر أن حكايات «ألف ليلة وليلة» قد حظيت بنصيبٍ وافر من حكايات الحيوان، حيث «أفردت الليالي صدرها لمجموعة كبرى من هذه القصص، جاءت متصلة في قرابة نصف مجلد من مجلداتها الأربعة، كما جاءت متفرقة، متناثرة، في سائر قصص الليالي ـ كحكايات فرعية ـ ترويها شهرزاد، تأكيداً لمبدأ أو تدليلاً لقضية، أو تفسيراً لسلوك، أو شرحاً لبعض الطباع الإنسانية، أو حسماً لموقف، أو برهاناً لفكرة»[8]. فتطل حكايات الحيوان برأسها من مطلع الحكاية الإطارية لليالي، عندما تطلب شهرزاد من أبيها أن يزوجها شهريار؛ لتكون سبباً في إنقاذ بنات المسلمين، وحيلة لخلاصهن من المصير الأسود الذي يقضي عليهن الواحدة تلو الأخرى، فجر كل صباح، ويجد الأب في طلب ابنته مخاطرة بالنفس، فيرفض طلبها بشدة، ولكنها تُلحّ عليه فيحاول أن يثنيها عن قرارها بحكاية «الحمار والثور مع صاحب الزرع»[9].

لقد توالت الأعمال السردية الرمزية التي اتخذت من الرموز الحيوانية أبطالاً وشخوصاً، إلى أن جاء كتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» لابن عرب شاه، بوصفه آخر كتاب تراثي ـ قبل العصر الحديث ـ على ألسنة الطيور والحيوانات.

فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء:

في أواخر العصر المملوكي ظهر كتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء»، لمؤلفه ابن عرب شاه، الذي كان معاصراً للسلطان المملوكي جقمق، فخاف بطشه لِما عُرف عنه من تغيِّر خاطره، وميله لما يُوحى إليه من كلام الوشاة، وقد وصفه ابن إياس بأنه: «كان يستحيل بالكلام، ويتغير خاطره»[10]. وقد ذَكَر المؤرخ العديد من الحوادث الدالة على سماعه كلام الوشاة، فكان يتغير خاطره على: (الولاة، والقضاة، والعلماء، والمشايخ)، فيقوم بألوان مختلفة

من التعذيب (تهديد وعزل، نفي وسجن، تشريد وقتل).

وعلى الرغم من قيام رجال الدين بدورهم في النصح والوعظ والإرشاد، ومحاولة إصلاح ما تفشى من فساد في كثير من طبقات المجتمع، فإن أصواتهم بُحت، وأقلامهم جفت، ومؤلفاتهم أُهملت وتُركت. ولقد أشار ابن عرب شاه في خطبة كتابه «فاكهة الخلفاء» إلى تكرار مقالات العلماء، في حين «لم تصغْ الأسماع إليها ولا عوّلت الأفكار عليها»[11]، ولعله قصد التآليف التي توجهت إلى الملوك والحكام والأمراء والوزراء والولاة بالنصح والوعظ بطريقة خطابية مباشرة، فعلى الرغم من كثرتها إلا أن النفوس قد ملت ما تكرر من وعظ ونصح، فقد رونقه وبريقه، حيث اعتادته الأسماع حتى ملته النفوس.

ومن هنا أخذ ابن عرب شاه في كتابه «فاكهة الخلفاء» يبتعد عن الطريقة الوعظيَّة المباشرة لقصورها عن بلوغ الغاية المطلوبة، وعجزها عن تحقيق الهدف المنشود، فلم ينسجْ على منوالٍ قريب مألوف، بل تطلع إلى سرد بعيد غريب، يطرب إليه السمع، ولا يمجه القلب، يخالف به المتعارف والمتداول في عصره، ومن ثم لجأ إلى السرد على لسان الحيوان، لينقل إلى صاحب السلطة ما أراده، من طريق غير مباشر، قوامه الحيلة والمراوغة، وذلك على ألسنة شخوصه من حيوانات وطيور، جاعلاً أفعالها تتطابق مع أفعال الإنسان، وكأنه أراد أن يضرب مثلاً للسلطان المملوكي بالشيء الحقير الذي يُطلع منه على أمرٍ كبير. ولذلك فقد ألحّ كثيراً على تكرار الآية القرآنية الكريمة: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا للنّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلّا العالِمون﴾[12]. لتكون شاهداً ودليلاً على عمله وقصده من وراء سرده الرمزي؛ لأن «الحكمة على لسان الحيوان أدعى للقبول والإقناع منها على لسان الإنسان، الذي تنطوي حكمته الإرشادية ونصائحه الوعظية على نوعٍ من الاستعلاء الضمني بين الناصح والمنصوح، وهذا أمرٌ - في حقيقته - مرفوض من المتلقي لا شعورياً، وإن لم يُفصح عن ذلك»[13].

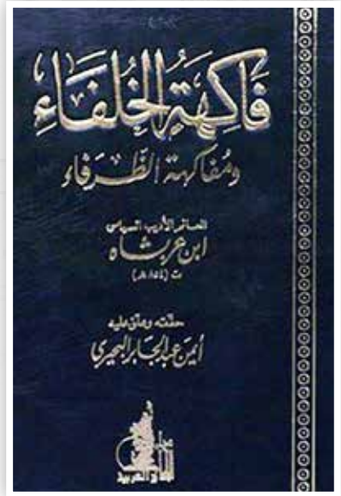

لقد حمل الحكي في «فاكهة الخلفاء» بُعداً دهائياً للمؤلف، تكمن في داخله نيّة إصلاح ما يمكن إصلاحه من أمور الدولة السلطانية المملوكية، فأخذ ابن عرب شاه يروض السلطان جقمق المملوكي بوساطة الحكي الرمزي، موجهاً إليه نصائحه بطريقة غير مباشرة، يبتعد فيها عن الوعظ المباشر، مازجاً بين الجد والهزل، من أجل التهوين من خشونة الخطاب المباشر وصداه ووقعه في النفس، فلجأ إلى السرد الرمزي حتى «يتفكه السامع تارة ويتفكر أخرى، وينتقل في ذلك من الأخفى إلى الأجلى، ويتوصل بالتأمل في معانيه من الأدنى إلى الأعلى»[14].

لقد كان لطبيعة السلطان جقمق المتقلبة دور في لجوء ابن عرب شاه للرمز، فقد أوجس في نفسه خيفة، وأخذ يحتاط كثيراً فيما يقول، وفيما يكتب، علاوة على ذلك أسباب، منها: تقدم عمره، وعكوفه بين الصوفيين يتأمل ويرتئي... كل هذا أطلق مخيلته؛ ليحقق بذلك حاجة في نفسه وقبيل مماته، يثبت بها جدارته وتأثيره في زمان ضاع فيه العلم، وأُهمل الأدب بإهمال العلماء، وبالنظرة المتدنية إلى الأدباء.

إذاً، وضع ابن عرب شاه كلامه على ألسنة الهوام؛ ليتخذ منها قناعاً واقياً يحتمي به من قهر الحاكم، وبطش السلطان، فهو لم يقل ولم يفعل، بل قالت الحيوانات وفعلت، وكذا يمكن أن تقول الشخصيات، وتفعل في الحقيقة. فلم يقصد ابن عرب شاه أن يسرد طرائف عجيبة، وحكايات مسلية غريبة، يفاكه بها الخلفاء ويتقرب بها إلى طبقة الظرفاء فحسب، بل أتى بها في هذا الشكل لتكون ستاراً أو قناعاً شفافاً، وما الحيوان إلا تمويهٌ، يتمكن المؤلف عن طريقه من غرس القيم، وتعزيز الهمم، وتعليم أصول الحكم، ونصيحة السلطان، والتأكيد على الواجبات السياسية الواجب فعلها من جانب الحاكم والرعية، وبيان القواعد السلوكية الواجب اتباعها في سياسة الدولة، وتدبير شؤون الرعية، من أجل تحسين السلوك، وتهذيب الأخلاق، عارضاً كل ما أراده من طريق غير مباشر هو السرد الرمزي.

1. ضياء الكعبي: السرد العربي القديم «الأنساق الثقافية وإشكاليات التأويل»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط 1، 2005م، ص 237.
2. محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، نهضة مصر - القاهرة، 2004م، ص 151.
3. كان جعفر بن خالد البرمكي من المثقفين الفرس الذين يعملون في خدمة البلاط العباسي، ولّما كان زمام السلطة الثقافية في بدايات الدولة العباسية بأيدي الفرس - ولاسيما البرامكة - فقد بادروا إلى التعصب لكتاب «كليلة ودمنة»، ورصدوا الجوائز السنيّة، لمن يحاكيه شعراً حتى يسهل حفظه وذيوعه بين العامة والخاصة. ولعل هي الشعوبية سر الاهتمام الكبير بكتاب «كليلة ودمنة»؛ الصراع المستعر بين العرب والفرس سياسياً وثقافياً - دفع البرامكة - أحفاد الفرس - إلى تبني كل مأثور يعود إلى الثقافة الفارسية - ثقافتهم الأصلية - فقد وجدنا: يحيى بن خالد البرمكي، وزير المهتدي والرشيد يكافئ أبان اللاحقي بعشرة آلاف دينار على منظومته الشعرية المطولة لكليلة ودمنة، وأيضاً: أخوه الفضل كافأ الشاعر بخمسة آلاف أخرى. انظر محمد رجب النجار: التراث القصصي في الأدب العربي (دراسة سوسيوسردية)، ذات السلاسل - الكويت، 1995م - ص143.
4. كانت الترجمة الأولى لابن المقفع.
5. محمد فتحي الريس: القصة على لسان الحيوان بين العربية والفارسية، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ، المجلدان: (32 - 33)، الجزءان: (1،2)، مايو، ديسمبر (1970-1972م)، ص 336.
6. محمد رجب النجار: التراث القصصي في الأدب العربي «دراسة سوسيوسردية»، ذات السلاسل - الكويت، 1995م، ص ص143 - 144.
7. إخوان الصفا: تداعي الحيوانات على الإنسان، تقديم: فاروق سعد، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت - ط2، 1980م، ص263.
8 محمد رجب النجار: التراث القصصي - مرجع سابق - ص146.
9. هي أولى قصص الحيوان في ألف ليلة، جاءت - قبيل الليلة الأولى - في مدخل الليالي. ولمزيد من التفاصيل راجع: ألف ليلة وليلة: إعداد: رشدي صالح، دار الشعب، د.ت، ص 18 - 20.
10. ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م، ص271 .
11. أحمد بن محمد بن عرب شاه: فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، تحقيق: د. محمد رجب النجار، الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة، سلسلة الذخائر، عدد (94)، ط1، 2003م، ص 38.
12. سورة العنكبوت، الآية (43).
13. محمد رجب النجار: التراث القصصي في الأدب العربي - ص 160.
14. فاكهة الخلفاء: ص 42.

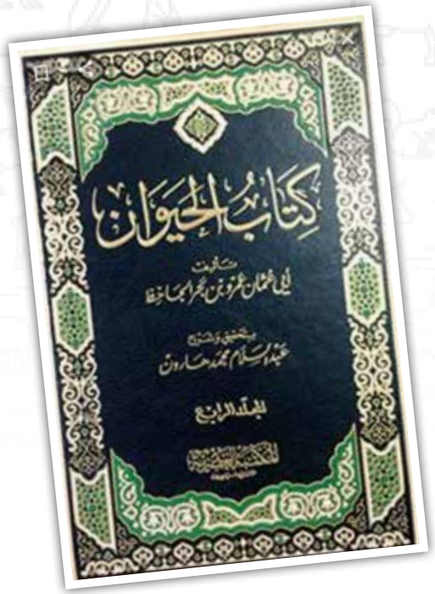

الجاحظ ودوره التوثيقي في الحفاظ على تراث الحيوان في كتابه «الحيوان»

إذا بحثنا في طبائع الحيوان وغرائزه وعاداته، فلن نجد أشمل من الكتاب الموسوعي «الحيوان»، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الذي يعدّ من أضخم كتبه على الإطلاق، كما أصبح دائرة معارف موسوعية، أبرز لنا فيها ثقافة العصر العباسي المتنوّعة.

د. حنان الشرنوبي
ناقدة – مصر

لقد نال الكتاب شهرته بعدما أتمَّ تأليفه؛ إذ أهداه إلى صديقه محمد بن عبدالملك، الذي كافأه عليه بخمسة آلاف دينار.

والحقيقة أن هذا الكتاب كنز لا يقدر بثمن؛ لأن جميع من كتبوا قبل الجاحظ في هذا المجال أمثال الأصمعي وابن الأعرابي والسجستاني، كانوا يتناولون حيواناً واحداً، وكان اهتمامهم باللغة فقط؛ لكن الجاحظ اهتم – إلى جانب اللغة والشعر – بالجانب العلمي.

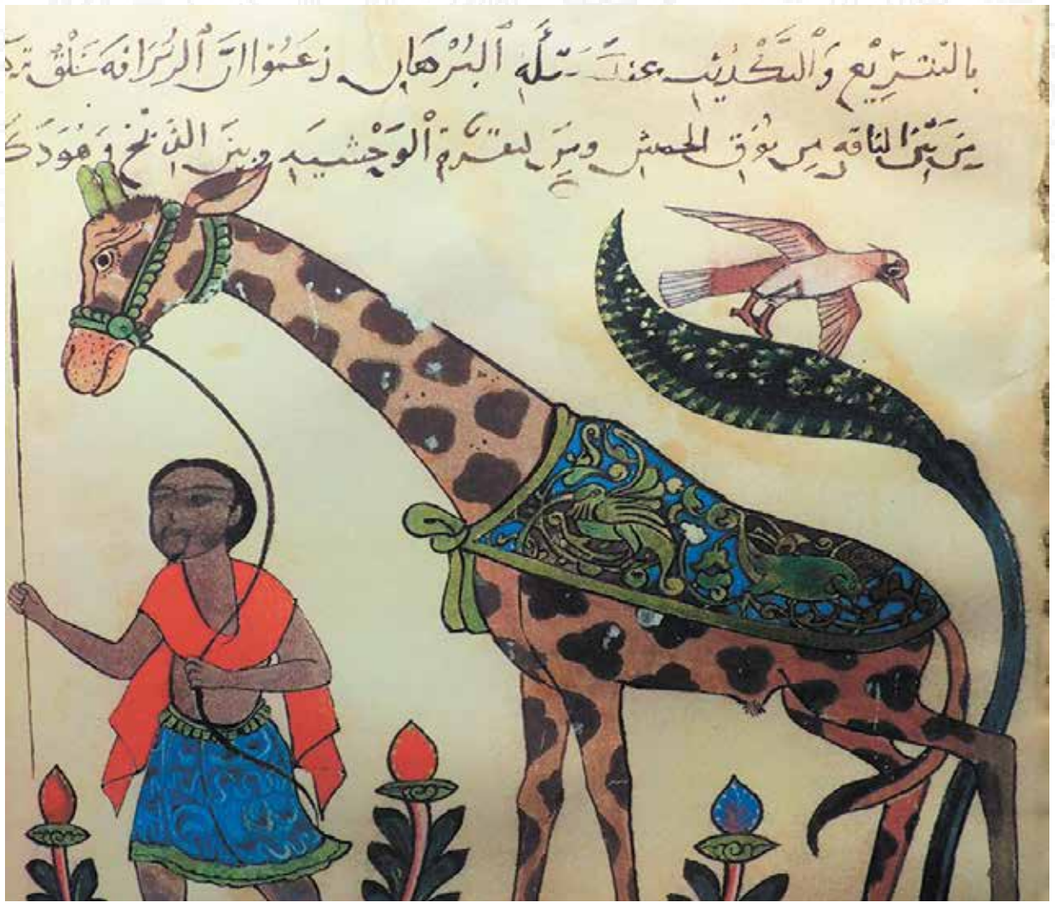

وعن أبرز الأسباب والدوافع التي حمّست الجاحظ وأعانته على تأليف هذه الموسوعة؛ فتنقسم إلى أسباب موضوعية، وأخرى ذاتية، فأمّا الموضوعية: فتتمثل في نظرته إلى الكون، وموقفه العقائدي من الحياة (بشكل عام).

وأمّا الذاتية: فتبرز موقف الجاحظ من نفسه أولاً؛ وموقفه تجاه أعدائه وناقديه ثانياً؛ وعلاقته بقرّائه ثالثاً...

أولاً: الأسباب الموضوعية: وتتلخص في برهانه على قدرة الله، وجميل صنعه، وحكمته بما أودعه في الحيوان من عجائب وأسرار، فيقول (ص156): «ليعلم كل ذي عقل أنه لم يُخلق الخلق سدى، ولم يترك الصور هملاً، وليعلموا أن الله، عزّ وجلّ، لم يدعُ شيئاً غفلاً غير موسوم...»؛ ويعني أن كل حيوان خُلق لحكمة وتدبير، وهذا ما أكده (ص37): «وإذا سمعت ما أودعها الله تعالى من عظيم الصنعة،

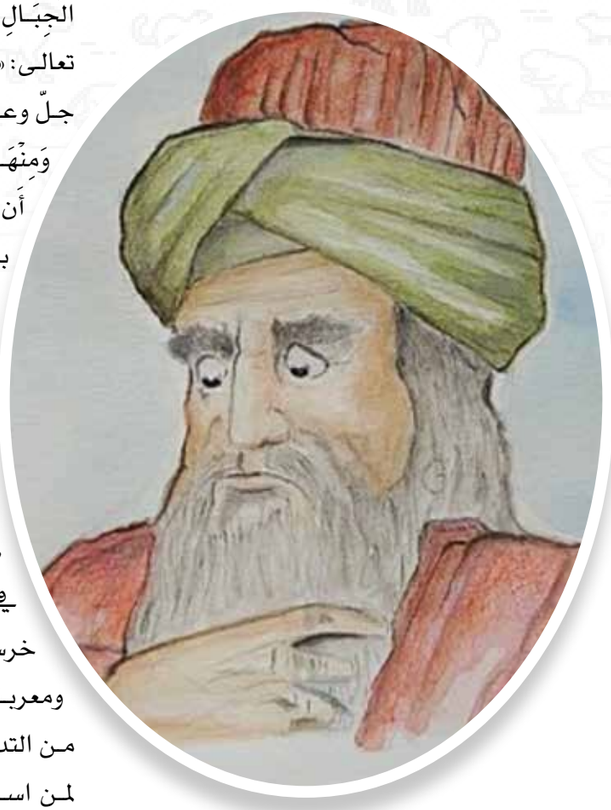

الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ». وقوله تعالى: «أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ»، وقوله جلّ وعلا: «وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ». وأيضاً قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا»؛ بل إن من سور القرآن ما سمي بأسماء الحيوانات، كسور: البقرة والفيل والنمل والعنكبوت والأنعام؛ ما يدل على المكانة الدينية للحيوان.

ثانياً: أراد الجاحظ بكتابه إبراز وحدة الكون وتناغمه وانسجامه، عبر وصف طبائع الحيوان وأنواعه وخصائصه، فيقول في الجزء الأول (ص7): «وهناك أجسام خرساء صامتة، ولكنها ناطقة من جهة الدلالة، ومعربة من جهة صحة الشهادة على الذي فيها من التدبير والحكمة، مخبر لمن استخبره، وناطق لمن استنطقه».

ثالثاً: قد تكون بسبب الخلافات الفكرية واشتدادها، وظهور الصراعات العقلية في وطنه العراق، فاستحالت الحيوانات إلى رموز، نظراً لخصومات اجتماعيّة ودينيّة، ما بين العرب والفرس.

رابعاً: وفرة الكتب التي تبحث في الحيوان؛ إذ ظهر عدد كبير من المؤلفين العرب الواضعين كتباً عن الحيوان في عصر الجاحظ، كابن قتيبة وأبي جعفر البغدادي والأصمعي والسجستاني وأبي زيد (أستاذ الجاحظ) وغيرهم... فجاء الجاحظ جامعاً وشارحاً

وما فطرها الله تعالى عليه من غريب المعرفة، وما أجرى بأسباب من المنافع الكثيرة، والمحن العظيمة، وما جعل منها الداء والدواء، أجلتها أن تسميها همجاً، وأكبرت الصنف الآخر أن تسميه حشرة».

وقد وجد الجاحظ في القرآن الكريم شواهد تدعم حججه، كما ذكر في كتابه، مثل قوله، عزّ من قائل: «وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ

لما سبق تأليفه شعراً ونثراً، فكان بذلك أوسع كتاب عربي تراثي في الحيوان.

أما أبرز الأسباب الذاتية: فتتجلى في حب الجاحظ الشهرة، واعتزازه بذاته المبدعة.. كذلك رغبته في نشر ثقافته بين الناس؛ والرد على من انتقده؛ بتوجيه اللوم في صور ساخرة. وعن فحوى الكتاب فثريٌّ متنوّع، إذ قُسّم إلى سبعة أجزاء؛ أورد الجاحظ في الجزء الأول منه خطبة الكتاب؛ التي ذكر فيها أسباب تأليفه له، واعتذاراً لقرائه عما قد يصادفهم فيه من اضطراب؛ بسبب اشتداد العلة؛ وقلة الأعوان، وطول الكتاب وموسوعيته؛ ثم أورد فهرست كتبه التي ألفها قبل كتاب الحيوان. ثم قسم إلى نامٍ وجامدٍ، والنامي قسمه إلى قسمين حيوان ونبات.. وعناصر الحيوان قسمها إلى أربعة أقسام: يمشي ويطير ويسبح وينساح، وما يمشي من هذه الحيوانات ينقسم إلى ناس وبهائم وسباع وحشرات... وهكذا حتى يفتتح الجزء الرابع بالحديث عن «الذر»، وهو نمل صغير، وصفه الجاحظ وصفاً دقيقاً، يشمل الأبعاد الأخلاقية والدينية، فضلاً عن الأبعاد اللغوية؛ إذ إن للذر لغة تواصل خاصة؛ وله ذكاء عجيب؛ فهو يأخذ من الحَبّ الذي يدخره للشتاء جزءَ الإنبات والتناسل، لكيلا يتعفن، وذلك بعد ملاحظاته الدقيقة.

وفي جزئه الخامس تحدث عن الحبارى، وهو طائر صحراوي مشهور؛ ثم ذكر الضأن والمعز حتى انتقل إلى الضفادع.. كما فرّق بين الإنسان والبهيمة والسبع، وختم هذا الجزء بنوادر وأشعار وأحاديث نبويّة.

وفي مستهلّ الجزء السادس، حديث عن الضبّ، وفيه باب «من ادعى من الأعراب أنهم يرون الغيلان»، ثم وصف التمساح منتقلاً إلى نوادر عن الجن، واختتمه بالقول في الشهُب واستراق السمع.

ولقد ألف الجاحظ كتبه المهمة، ورسائله ليس فقط في الحيوان، ولكن عن «مناقب الترك»، و«مناقب السودان»، و«البخلاء»، و«البيان والتبيين» وغيرها – مما لم يصل إلينا – حيث عبّر عن الحضارة العربية التي بلغت غاية ازدهارها الخلّاق – أو كادت – في (الفكر والأدب والاقتصاد والعمران)، ومع هذا يظل كتابه الحيوان من أهم الكتب التي كُتب لها البقاء والذيوع قديماً وحديثاً، ما جعل دراستها تستغرق جهود أجيال من العلماء والباحثين.

قراءة في كتاب الحيوان للجاحظ

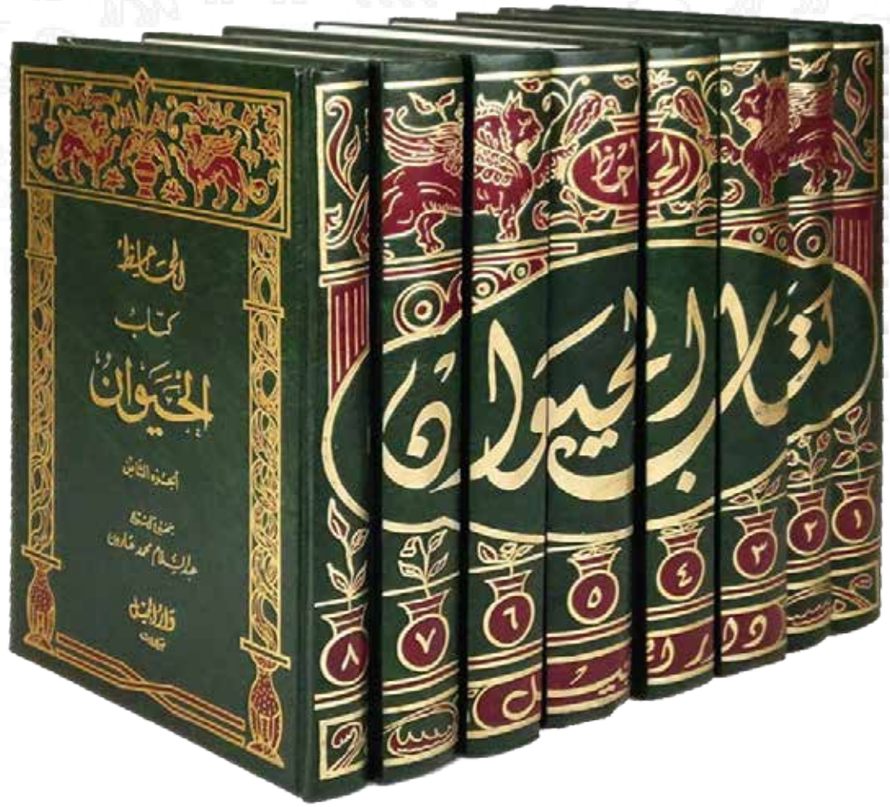

ظافر جلود
كاتب وصحفي – العراق

كتاب الحيوان للجاحظ.. كتاب تستوي فيه رغبة الأمم، وتتشابه فيه العرب والعجم؛ لأنه وإن كان عربياً أعرابياً، وإسلامياً جماعياً، فقد أخذ من طرف الفلسفة، وجمع معرفة السماع وعلم التجربة، وأشرك بين علمَي الكتاب والسُّنةِ وجدانَ الحاسة وإحساس الغريزة، يشتهيه الفاتك كما يشتَهيه الناسك. وقد سلك الجاحظ في تأليف كتابه سلوكاً علمياً دقيقاً، فهو يجنح للتوثيق، إذ يذكر المرجع الذي يأخذ منه، سواء كان المرجع كاتباً أو شاعراً أو أعرابياً أو ملّاحاً أو عشاباً أو خبراً مسموعاً، فيذكر اسم الشخص ومصنفه إن وجد، كما يذكر اسم صاحب الخبر المسموع أو راويه.

اعتمد الجاحظ في كتابه على مصادر عديدة، منها القرآن والحديث والشعر العربي، بالإضافة إلى كتاب الحيوان لأرسطو، الذي نقله إلى العربية ابن البطريق في عصر الجاحظ، بالإضافة إلى خبرة الجاحظ الطويلة في الحياة، وممارسته ظروفها وأحوالها، ومما اكتسبه بنفسه أو سمعه من الأعراب. فضم كتاب الحيوان موضوعات شتى لا تمت إلى عالم الحيوان بصلة؛ ذلك لأن الجاحظ كان يستطرد داخل الموضوع نفسه لإمتاع القارئ؛ لذا قلما كان يتقيد الجاحظ بموضوعه، ويستقر على حال، حتى أصبح هذا الاستطراد سُنة غير حميدة.

وفيه تتبع ما في حياة الحيوان من الحجج على حكمة الله العجيبة، وقدرته النادرة، حدّث فيه عن العرب والأعراب، وأحوالهم وعاداتهم ومزاعمهم وعلومهم، وبعض مسائل الفقه والدين، وصفوةٍ مختارةٍ من الشعر العربي والأمثال والبيان، ونقد الكلام، حيث قال عنه الجاحظ: «وفيه تتبع ما في حياة الحيوان من الحجج على حكمة الله العجيبة وقدرته النادرة، وكانت العادة في كتب الحيوان أن أجعل في كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار، لِما ذكرت من عجبك بذلك، فأحببت أن يكون حظ هذا الكتاب في ذلك أوفر، إن شاء الله تعالى»، إلى أن قال: «وإذا كانت الأوائل قد سارت في صغار الكتب هذه السيرة، كان هذا التدبير لما طال وكثر أصلح، وما غايتنا إلا أن تستفيدوا خيراً».

يعرض الجاحظ في كتاب الحيوان معلومات موسعة عن 350 نوعاً من أنواع الحيوانات. وتبدو الأفكار التي طرحها للقارئ المطلع على نظرية داروين حول النشوء والارتقاء، متطابقة إلى حد التماثل؛ فهو يقول إن الحيوانات «تتصارع بحثاً عن البقاء والموارد، وفرص للتكاثر، وحتى لا تقع فريسة لحيوانات أخرى»، ويرى أن عوامل بيئية تساعد الكائنات على تطوير سمات جديدة لضمان البقاء، وبهذا تتحول إلى أنواع أخرى.

بل يذهب أبعد من ذلك، ليرى أن الحيوانات التي تنجح في البقاء، تنقل صفاتها وسماتها إلى ذريتها، وهذا هو الشق الثاني في نظرية داروين، التي تختصرها عبارة «البقاء للأقوى» أو الأصلح.

الكائنات الحيّة، حسب الجاحظ، في صراع مستمر

للبقاء، حيث الأقوى فقط هو من يسيطر في النهاية وينتشر. إنها عملية «انتخاب طبيعي» مستمرة، البقاء فيها مضمون فقط للأنواع التي تمتلك سمات تساعدها على التنافس والعثور على الطعام، وتجنب الوقوع فريسة لحيوان آخر، ضامنة بذلك تكاثرها.

لذلك يعد أول كتاب جامع وضع في العربية في علم الحيوان؛ لأن من كتبوا قبل الجاحظ في هذا المجال، أمثال الأصمعي وأبي عبيدة وابن الكلبي وابن الأعرابي والسجستاني وغيرهم.. كانوا يتناولون حيواناً واحداً، وكان اهتمامهم لغوياً وليس علمياً، ولكن الجاحظ اهتم إلى جانب اللغة والشعر بالبحث في طبائع الحيوان وغرائزه وأحواله وعاداته. ويعدّ كتاب الحيوان للجاحظ عالماً زاخراً يضطرب بمختلف صور الحياة، وهو يعرض فيه نزعات المجتمع الإسلامي في العصر الذي عاش فيه الجاحظ، ويظهر فيه عقل الجاحظ الدقيق النافذ، وبيانه الأدبي الرفيع، وذوقه الفني المرهف.

«وهذا كتاب يشتهيه اللاعب ذو اللهو، كما يشتهيه المجد ذو الحزم، ويشتهيه الغفل كما يشتهيه النبيه. ويشتهيه الغبي كما يشتهيه الفطن».. بهذه العبارات قدّم أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ واحداً من أفضل كتبه وأشهرها؛ «الحيوان»... وهو في هذا التقديم كان يسير على درب لم يحد عنها أبداً في مجال وضعه كتبه، فهو، وبحسب ما يفيدنا المؤرخ محمد كرد علي: «ما كتب وألف إلا عن باعث، وكان في الأكثر يتقدم فيعرض ما حمله على التأليف». وهو بهذه العبارات حدد هدفه وغايته، كما وصف كتابه قبل أن يواصل قائلاً: «وليس هذا الكتاب، يرحمك الله، في إيجاب الوعد والوعيد، فيعترض عليه المرجئ، ولا في تفضيل علي، فينتصب له العثماني، ولا هو في تصويب الحكمين، فيتسخطه الخارجي، ولا هو في تقديم الاستطاعة، فيعارضه من يخالف التقديم، ولا هو في تثبيت الأعراض، فيخالفه صاحب الأجسام، ولا هو في تفضيل البصرة على الكوفة، ومكة على المدينة، والشام على الجزيرة. ولا في تفضيل العجم على العرب، وعدنان على قحطان وعمرو على واصل.

ومن خلال تصفح أجزاء الكتاب نجد أن أساس كتاب «الحيوان» هو أن يكون كتاباً في العلوم الطبيعية، فإذاً – وكما يقول لنا مؤرخو التراث العربي – كان هذا الكاتب المفكر استمد كثيراً من المعلومات التي ترد في «الحيوان» من الروايات العربية، ثم ملأه بالشواهد الأدبية، والقصص الشائعة، «فإنه كان ذا ميل صحيح إلى العلوم

الطبيعية»، ما جعل كتابه هذا يمتلئ بملاحظات قيمة في التطور وأثر البيئة، وعلم النفس عند البشر، والغرائز عند الحيوان. وإلى هذا، فإن الجانب التجريبي في الكتاب بارز جداً... وفوق هذا كله، جعل الجاحظ في ثنايا كتابه هذا، يدافع عن مذهب المعتزلة، تماماً كما فعل في ثنايا «البيان والتبيين»، كتابه الكبير الآخر... وهما معاً كتابان ذكر أبو علي الحسن بن داود فضلهما حين قال: «فخر البصرة بأربعة كتب: «يكشف لنا كتابه الحيوان عن عقلية نقدية بارعة، بالمعنى الاصطلاحي المنهجي، كما هي أيضاً نقدية وبالمعنى الشائع، فنقده بالمعنى الشائع يتجلى في تهكمه وتعليقاته الساخرة، التي لم يسلم منها جانب من جوانب المعرفة، ولا مخطئ أمامه، ومن ذلك مثلاً تهكمه بالخليل بن أحمد الفراهيدي الضليع في علم العروض، الذي قال فيه «العروض علم مردود، ومذهب مرفوض، وكلام مجهول، يستكد العقول، بمستفعل ومفعول، من غير فائدة ولا محصول».

ونسوق هذا المثل، رغم ما يحمله من نقد منهجي استشرافي، ستحتاج البشرية بعده أكثر من ألف عام لتحدث ثورة على العروض، وكأنما به يستبشر مبكراً الشعر الحديث، المتمرد على التفعيلة والقافية. أما نقده المنهجي فتجلى في كتبه ورسائله، وفي تعامله مع مختلف الموضوعات المعرفية؛ العلمية والأدبية، ومن ذلك نقده علماء عصره ورواته وفقهاءه والعلماء السابقين، والشواهد على ذلك كثيرة.

وبنظرة سريعة في آثار الجاحظ «فإنك تراه وهو يطلق العنان لقلمه في جل كتبه، يزيف الخرافات والترهات في عصره وقبل عصره، فيقطع في نفسك أنه لو جاء كثير مثله في عقلاء العلماء، لخلت كتب الأقدمين من السخافات»، إذ إن الجاحظ نفسه يقول: «ومما لا أكتبه لك من الأخبار العجيبة التي لا يجسر عليها إلا كل وقاح أخبار، البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب الحيوان له، وكتاب سيبويه، وكتاب العين للخليل».

لذلك يعدّ الكتاب أشمل مصنَّف، وأكملها، تناول الجوانب النفسية والغريزية وطبيعة الحيوانات على اختلافها. فلم يقتصر على مجرد ذكر الصفات الخارجية للحيوان، وأسلوب معيشته، وما يمتاز به عن بقية بني جنسه، وإنما ذهب إلى تحليل نفسية الحيوان وطباعه وتصرفاته، مما يندرج تحت ما يسمى «سلوك الحيوان»، أو «علم نفس الحيوان». كما تضمن الكتاب مجموعة واسعة من صنوف الحيوان، منها ما هو معروفٌ في بيئته، ومنها ما هو مجهولٌ ورد ذكره في المصنفات العلمية اليونانية أو العربية، أو عرفه عن طريق الرواية والخبر.

لم يبق تأثير كتاب الحيوان للجاحظ مقتصراً على المهتمين بعلم الأحياء، بل كان له تأثير في العلماء والمفكرين، من أمثال الفارابي والبيروني وابن خلدون، فالكتاب، إلى جانب كونه أول عمل جامع وضع في العربية في علم الحيوان، يعدّ صورة بارزة لثقافة العصر العباسي المتشعبة الأطراف، احتوى على المعارف الطبيعية والمسائل الفقهية. وتحدث فيه عن سياسة الأقوام، كما تكلم عن سائر الطوائف الدينية، وعرض الكثير من المسائل الجغرافية، وخصائص كثير من البلدان، وأورد أبياتاً مختارة من الشعر العربي النادر، بالإضافة إلى الأمثال السائرة والنوادر الطريفة. وفي عام 1930، تحدث المفكر الباكستاني محمد إقبال عن أهمية الجاحظ، وتأثيره فيمن جاء من فلاسفة ومفكرين

من بعده، ومن ضمنهم إقبال نفسه، في سلسلة من المحاضرات، فكتبَ يقول: «الجاحظ هو من فسر التغيير الذي يحدث لحياة الحيوان، بسبب الهجرة وتغيير البيئة».

ويتناول المناظرة بين الديك والكلب في الفصلين الأول والثاني، ويدعم حديثه بأبيات الشعر والأحاديث والآيات القرآنية والقصص والحكايا. ثم يستعرض في الفصلين الثالث والرابع الحمام وأنواعه وطبائعه، والذباب والغربان والجعلان والخنافس والخفاش والنمل والقرود والخنازير والثيران. وفي الفصلين الخامس والسادس يواصل حديثه عن الثيران، ثم يعرج إلى أجناس البهائم والطيور الأليفة، ثم يُقيم مناظرةً موسوعية بين الإنسان والحيوان، ثم ينتقل بعدها للحديث عن الضب والهدهد والتمساح والأرنب، وينهي حديثه في الفصل السابع بالحديث عن الزرافة والفيل وذوات الأظلاف.

ورغم أن الفكر الأوروبي في القرن التاسع عشر على دراية واحتكاك بإسهامات العالم الإسلامي في مجال التطور، كما يقول كاتب التقرير الذي قدمته «بي.بي.سي»، لا وجود لدليل على أن داروين ذاته كان على دراية بأعمال الجاحظ، أو أنه كان يفهم اللغة العربية، حيث انتهج الجاحظ أسلوباً بحثياً علمياً دقيقاً، يبدأ بالشك ليعرض على النقد، ويمر بالاستقراء على طريق التعميم والشمول بنزوع واقعي وعقلاني، وهو في تجربته ونقده وشكه وتعليله، يطلع علينا في صورة العالم الباحث عن الحقيقة.

لم يكتف الجاحظ بالشك أساساً في البحث العلمي، بل عرض لمكانة الشك وأهميته من الناحية النظرية في كثير من مواضع كتبه. ومن أهم ما قاله في ذلك: «واعرف مواضع الشك وحالاتها الموجبة، لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له، وتعلّم الشك في المشكوك فيه تعلُماً، فلو لم يكن في ذلك إلا تعرف التّوقُّف ثم التّثبُّت، لقد كان ذلك مما يُحتاج إليه. ثم اعلم أن الشك في طبقات عند جميعهم، ولم يجمعوا على أن اليقين طبقات في القوة والضعف».

ولم يرد أبو عثمان الشك لمجرد الشك، ولم يقبل أن يكون الشك كيفما اتفق، ولا في كل أمر على حد سواء، ولا بالطريقة ذاتها؛ إن الشك عند الجاحظ لا يختلف عن الشك المنهجي عند الإمام الغزالي، وعند الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت، فكل منهم أراد الشك طلباً للحقيقة؛ الحقيقة الجلية الواضحة؛ لذلك كثيراً ما كان يستفتح الأخبار المغلوطة بقوله زعم فلان، وزعموا، ثم يعقب بتحليله ونقده «بعقل راجح، ونظر صائب، وأسلوب سهل عذب متنوّع دقيق فكه، يتتبع المعنى ويقلبه على وجوهه، ولايزال يولّده حتى لا يترك فيه قولاً لقائل».

إذا كنا أسهبنا هنا في نقل هذه الفقرة من تقديم الجاحظ لكتابه «الحيوان»، فما هذا إلا عن تعمّد، ذلك أن الجاحظ هنا، في معرض حديثه عمّا لم يرد لكتابه أن يكون، عرف كيف يستعرض جملة المعارك والمواقف الأدبية والفكرية والسياسية، وحتى الفقهية التي كانت الحياة الثقافية العربية تعرفها في ذلك الحين. ومن الواضح هنا، لمن يقرأ بين السطور، أن عرض الجاحظ السلبي هذا، ليس حيادياً بين شتى المواقف المتنازعة، فهو في نهاية الأمر عرض نقدي واضح، يضع نفسه على مسافة بين الأفكار المتصارعة. ومن هنا عرف الجاحظ كيف يجعل من كتاب - يراد له أصلاً أن يكون علمياً موسوعياً - نصّاً أيديولوجياً بامتياز؛ ذلك أن الجاحظ الذي كان

ناثراً مميزاً، وكاتباً موسوعياً، ورجلاً خبر الدنيا، وغالباً من موقع السوداوية والتشاؤم، كان أيضاً صاحب قضية فكرية وسياسية، هو الذي كان من أوائل المعتزلة وأكثرهم نشاطاً وحضوراً، ناهيك عن كونه بينهم الأكثر اتجاهاً نحو الآداب والعلوم. وهو أمر ميزه عن رفاقه مفكري الاعتزال الآخرين. ومن هنا انتهز الجاحظ أي فرصة تتاح له لوضع كتاب، أو رسالة، حتى يجعل من النص، في متنه أو في تقديمه، أو حتى في استنتاجاته، سلاحاً في معركته الفكرية.

أخيراً، يعدّ الكتاب أشمل مصنَّف، وأكمل ما تناول الجوانب النفسية والغريزية وطبيعة الحيوانات على اختلافها، فلم يقتصر على مجرد ذكر الصفات الخارجية للحيوان، وأسلوب معيشته، وما يمتاز به من بقية بين جنسه، وإنما ذهب إلى تحليل نفسية الحيوان وطباعه وتصرفاته، مما يندرج تحت ما يسمى «سلوك الحيوان» أو «علم نفس الحيوان». كما تضمن الكتاب مجموعة واسعة من صنوف الحيوان، منها ما هو معروفٌ في بيئته، ومنها ما هو مجهولٌ ورد ذكره في المصنفات العلمية اليونانية أو العربية، أو عرفه عن طريق الرواية والخبر.

الحكاية والقناع في التراث العربي

د. محمّد رجب النجّار
رحمه الله

الحكاية على لسان الحيوان نمط من الأنماط السردية الذائعة في الآداب القديمة، ولعل أهم ما يميّزها من غيرها من الأجناس القصصية، أنّ الحيوان هو الذي يلعب فيها دور البطولة، وإذا تجاوزنا حكاية الحيوان الأسطورية (التعليلية) التي تنتمي إلى دنيا الأسطورة، فإنّ هناك ثلاثة أشكال أدبية منها، هي حكاية الحيوان القصيرة التي تعرف تراثياً باسم «خرافة الحيوان»، وهناك رواية الحيوان وملحمة الحيوان، ويجمع بينها جميعاً أنها تروى شعراً كما تروى نثراً، وأنّ الحيوان يلعب فيها دوراً إنسانياً، ومن ثمّ فهي إنسانية الطابع، عالمية المضمون، ذلك أنها قادرة - ببساطتها البنائية، ورمزيتها المجازية، وعبقريتها الجمالية، وبتراثها في التأويل - على أن تنفذ إلى المتلقي، في أي زمان ومكان، على اختلاف مراحله العمرية، ومستوياته الثقافية، وأنّ ظاهرها لهو، وباطنها حكمة. واللهو

هنا ليس إلا السرد القصصي على لسان الحيوان وغرائبيته، وفيه تكمن قيمها الجمالية/ الإمتاعية، وحكمتها العملية أو قيمتها التعليمية، أو الوظائفية، ولاسيما في مواجهة المسكوت عنه سياسياً ودينياً واجتماعياً وأخلاقياً، ومن دون الوقوع في براثن الصدام المباشر مع السلطة والمجتمع، ومن هنا عُرف هذا النوع من القصص على لسان الحيوان، باسم الحكاية/ القناع. والتراث العربي احتفى بهذا النمط القصصي، وأشكاله السردية المختلفة من حكاية ورواية وملحمة، ومن أمثال ونوادر، شعراً ونثراً، على لسان الحيوان، ولعل أقدم نصوصه يعود إلى العصر الجاهلي، على نحو ما نرى - مثلاً - في شعر النابغة والأعشى وأمية بن أبي الصلت. أمثال الحيوان: ولعل من أقدم قصص الحيوان خرافة الحية والفأس، التي تعود إلى العصر الجاهلي، باعتبارها أصلاً للمثل السائر حتى اليوم «كيف أعاودك وهذا أثر فأسك؟»، وقدر رواها المفضل الضبيّ (ت 170هـ) في كتابه «الأمثال».

ومن قصص الأمثال، تلك الحكاية الموضوعة على لسان الحيوان، في الجاهلية، تلك الحكاية التي يفسّر بها المثل القائل في التعاون، وأنّ التفريط في الجزء يعني التفريط في الكل، فقد «قالوا اصطحب أسد وثور أحمر وثور أبيض وثور أسود في أجمة، فقال الأسد للأحمر والأسود: هذا الأبيض يفضحنا بلونه، ويُطمع فينا مَن يقصدنا، فلو تركتماني آكله أمنّا فضيحة لونه، فأذنا له في ذلك، فأكله، ثمّ قال للأحمر: هذا الأسود يخالف لوني ولونك، ولو بقيت أنا وأنت ظنّ من يراك أسداً مثلي فدعني آكله، فسكت عنه فأكله، ثمّ قال للثور الأحمر: لم يبق إلا أنا وأنت، وأريد أن آكلك، فقال: إن كنت فاعلاً ولابدّ، فدعني أصعد تلك الهضبة، وأصيح ثلاثة أصوات، قال: افعل ما تريد، فصعد وصاح ثلاثة أصوات،

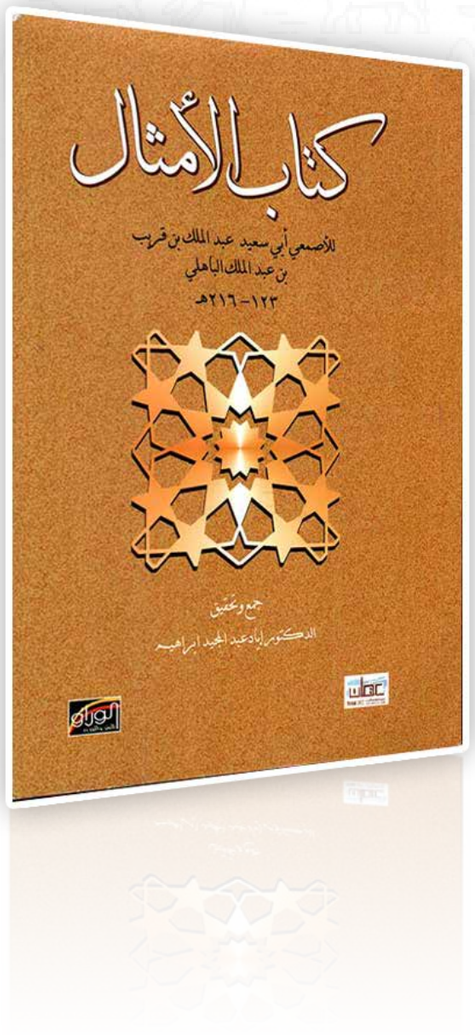

ألا «إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض»، فجرت مثلاً. كليلة دمنة: هو أوّل كتاب في تراثنا الحكائي انتقل بقصص الحيوان من مرحلته الشفاهية (الفولكلورية) إلى مرحلته الكتابية (الأدبية)، ومن هنا تتجلى قيمته التاريخية والفنية، باعتباره أوّل كتاب قصصي في تاريخ الأدب العربي، مجموع في صعيد واحد، متخصص في فن سردي واحد، هو قصص الحيوان الرمزية (الأليجورية)، وتضمه حكاية إطارية واحدة، هي حكاية دبشليم الملك وبيدبا الفيلسوف (على غرار حكاية شهريار وشهرزاد).

والكتاب في بنيته العميقة وغاياته البعيدة كتاب سياسي على لسان الحيوان، يعكس قصة الصراع الأزلية بين السلطة والثقافة «السيف والقلم»، ومؤلفه هو ابن المقفع (ت 145هـ)، ولأنّ الكتاب ينطوي على غايات سياسية تحريضية ضد سلطة ثيوقراطية قوية، فقد ادّعى ابن المقفع أنّه من وضع علماء الهند، وأنّه نقله – عبر البهلوية – إلى العربية، وهذا الادعاء غير صحيح، وأنّه زعم ذلك، كما يقول بعض معاصريه ومنافسيه من باب التقية، وهو ما أثبتته الدراسات النصيّة المقارنة، بعد العثور على الأصل الهندي، وعلى الرغم من ذلك، فقد دفع ابن المقفع الثمن غالياً، بمقتله على هذا النحو الفظيع، عندما كُشف أمره لأبي جعفر المنصور.

و«كليلة ودمنة» أيضاً هو أوّل كتاب في أدبياتنا السياسية (أو علم تدبير الملك)، وفيه نرى أنّ ابن المقفع لا يكتفي بالسعي إلى تقويض نظرية التفويض الإلهي، (حيث الخليفة ظل الله في الأرض)، أو برسم قواعد السياسة الداخلية، بمعنى تحديد الحقوق

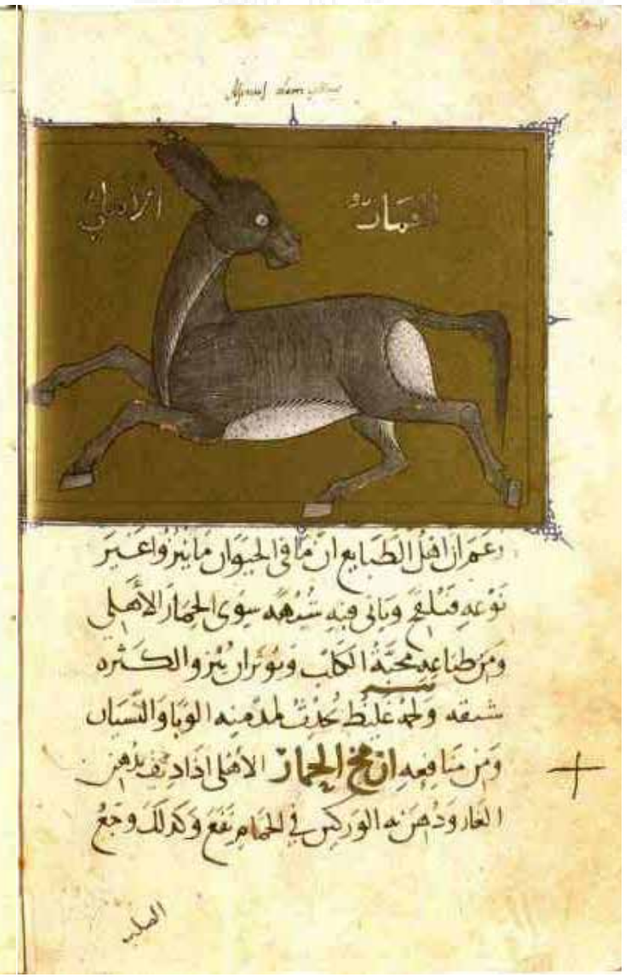

والواجبات، لكلٍّ من الرعية والسلطان، حيث يهدف – كما يقول – إلى أن «يكون ظاهرة سياسة العامة وتهذيبها، وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعية»، بل يتحدث كذلك عن رسم السياسة الخارجية، على نحو ما نلمح في باب البوم والغربان، «حيث العداوات التاريخية الموروثة بين الدول أو الشعوب – قديماً وحديثاً – لا يفلح معها صلح، وأنّ سياسة (التطبيع)

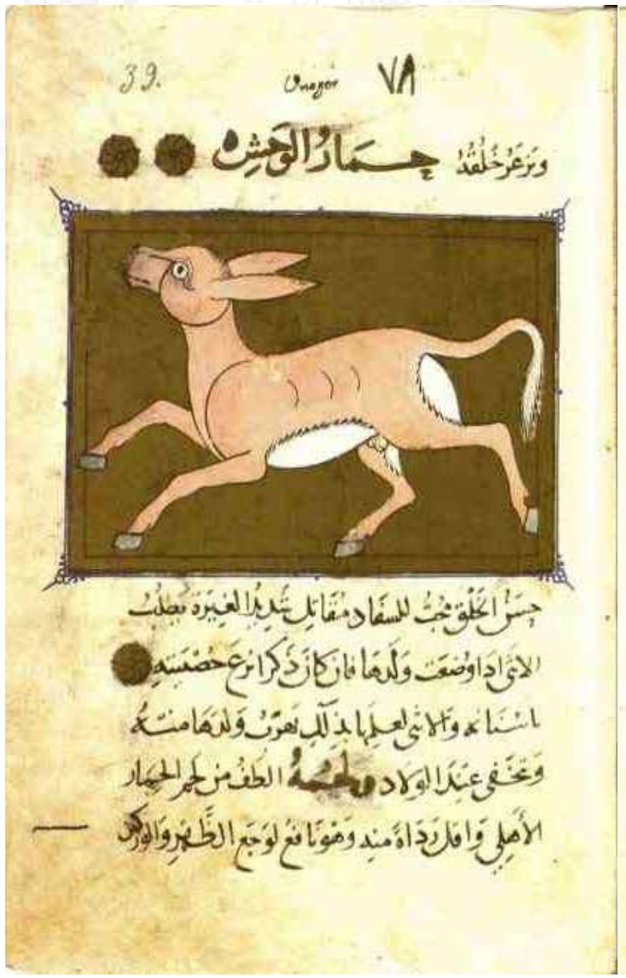

أحياناً قد تكون ضرورة تكتيكية لا استراتيجية».

وقد فجّر هذا الكتاب – على الرغم من مصادرته والتمثيل بصاحبه – ثورة إبداعية، فقد تمت محاكاته شعراً ونثراً في عشرات الأعمال.

مرايا الأمراء: ثمّة تراث علمي وأدبي عرفته الحضارات القديمة والوسيطة في علوم تدبير الملك، ويتعلق بأدبيات السياسة، يعرف باسم «مرايا الأمراء» كان موجّهاً لإرشاد الأمراء، وتقويم الملوك، في كيفية قيادة سفينة الحكم، وإدارة شؤون البلاد، وسياسة العباد، على نحو تعليمي معرفي عملي في آن، يتحقق معه العدل والرفاه للرعية. وأقدم حكاية تتردد في كتاب التراث تلك التي تعرف بحديث بومة البصرة وبومة الموصل، التي ظلت حيّة في الوجدان السياسي حتى استشهد بها ابن خلدون، ويتجلى هذا النوع من الحكايات/ المرايا في هذا الكتاب النادر «الأسد والغواص»، الذي يعود إلى القرن الخامس الهجري، وقد دارت حكاياته الإطارية والفرعية بين الأسد (الملك)، والغواص (الثعلب الحكيم).

قسمة الأقوياء في عصر العولمة:

في مجال النقد السياسي تسعى هذه الحكايات – عبر أقنعتها الحيوانية – إلى هتك المستور، وفضح منطق القوة، وكشف أساليب الأقوياء، وتعرية فلسفتهم في العدل.

جَوْر السلطان:

من الحكايات التي ذكرها أبو حيان التوحيدي (ت 414هـ) في كتابه «البصائر والذخائر»، ضمن هذا السياق: «نظر ثعلب إلى جمل يعدو خارج المدينة، فقال: ما وراءك؟ قال الجمل: جُعلت فداك، سُخّرت الحمير والبغال! فقال: وما أنت والحمير والبغال؟ قال الجمل: أخاف جور السلطان!». ومن المعروف أنّ كثيراً من قصص الحيوان ونوادره تراث شعبي مجهول المؤلف، الأمر الذي يعني قيمة مضافة إلى مساحة الحرية المتاحة خلف الأقنعة الحيوانية، في هذا الأدب، في مجال النقد السياسي والاجتماعي والأخلاقي.

نوادر الحيوان:

من قصص الحيوان شكل ممعن في الإيجاز، يعرف بنوادر الحيوان المرحة، ويتسم بالتهكم اللاذع، وروح السخرية المريرة، وله كالنكتة سواء بسواء غايات انتقادية، خاصة في مجال السلوك السلبي للحياة والأحياء، مثال ذلك ما رواه الثعالبي (ت 429هـ) في التمثيل والمحاضرة، وما رواه الآبي (ت 421هـ) في موسوعته الفكاهية الكبرى المعروفة بـ«نثر الدّرر»: - قالوا: إن جدياً وقف على سطح عال، وراح يشتم ذئباً يمرّ من تحته، فقال الذئب: لست أنت الذي يشتمني، ولكن مكانك يفعل ذلك! - وقالوا: قبض كلب على أرنب، فقال له الأرنب: والله ما فعلت هذا لقوّتك، ولكن لضعفي! - وقالت البعوضة للنخلة: استمسكي! فإني عنك ناهضة، فقالت النخلة: ما أحسست بوقوعك فكيف بنهوضك؟! - قيل للبغل: مَن أبوك؟ فقال: خالي الفرس! الطبع يغلب التطبّع: وعوداً على بدء تلعب الحكاية على لسان الحيوان دوراً متميّزاً في مجال النقد الاجتماعي والأخلاقي والتربوي، مثال ذلك هذه الحكاية الفرعية التي رواها ابن المقفع؛ ليكشف من خلالها أنّ الإنسان مهما تخلّق بطباع ليست من طبيعته، فإنّه حتماً سوف يعود إليها، وينكشف أمره، فقد زعموا أنّه كان ناسك مستجاب الدعوة، فبينما هو ذات يوم جالس على ساحل البحر، إذ مرّت به حدأة في رجلها درص فأرة (ولدها)، فوقعت منها عند الناسك، وأدركته لها رحمة، فأخذها ولفّها في ورقة، وذهب بها إلى منزله، ثمّ خاف أن تشق على أهله تربيتها، فدعا ربّه أن يحوّلها جارية: فتحوّلت جارية حسناء، فانطلق بها إلى امرأته،

فقال لها: هذه ابنتي، فاصنعي معها صنيعك بولدي، فلما كبرت، قال لها الناسك: يا بنيّة اختاري من أحببت حتى أزوّجك به، فقالت: أمّا إذا خيّرتني، فإني أختار زوجاً يكون أقوى الأشياء، فقال الناسك: لعلك تريدين الشمس! ثمّ انطلق إلى الشمس فقال: أيها الخلق العظيم، لي جارية، وقد طلبت زوجاً يكون أقوى الأشياء، فهل أنت متزوّجها؟ فقالت الشمس: أنا أدلّك على من هو أقوى مني؛ السحاب الذي يغطّيني، ويردّ حر شعاعي، ويكسف أشعة أنواري، فذهب الناسك إلى السحاب، فقال له ما قال للشمس، فقال السحاب: وأنا أدلك على مَن هو أقوى مني؛ فاذهب إلى الريح التي تقبل بي وتدبر، وتذهب بي شرقاً وغرباً، فجاء الناسك إلى الريح، فقال لها كقوله للسحاب، فقالت: وأنا أدلك على من هو أقوى مني، وهو الجبل الذي لا أقدر على تحريكه، فمضى إلى الجبل، فقال له القول المذكور، فأجابه الجبل، وقال له: أنا أدلك على مَن هو أقوى مني، الجرذ (الفأر الكبير) الذي لا أستطيع الامتناع منه إذا ثقبني، واتخذني مسكناً، فانطلق الناسك إلى الجرذ فقال له: هل أنت متزوج هذه الجارية؟ فقال: وكيف أتزوجها وجحري ضيق؟ وإنما يتزوج الجرذ الفأرة، فدعا الناسك ربّه أن يحوّلها فأرة كما كانت، وذلك برضا الجارية، فأعادها الله إلى عنصرها الأوّل، فانطلقت مع الجرذ. ملحة الوداع: ونختار ملحة الوداع هذه المرة من مرويّات الآبي: «رأت الضبع ظبية على حمار، فقالت: أردفيني، فأردفتها، فقالت: ما أفره حمارك! فلما سارت يسيراً قالت: ما أفره حمارنا! فقالت الظبية: انزلي قبل أن تقولي، ما أفره حماري!».

(هذه المادة نشرت منذ فترة، وارتأينا إعادة نشرها حتى تعم الفائدة).

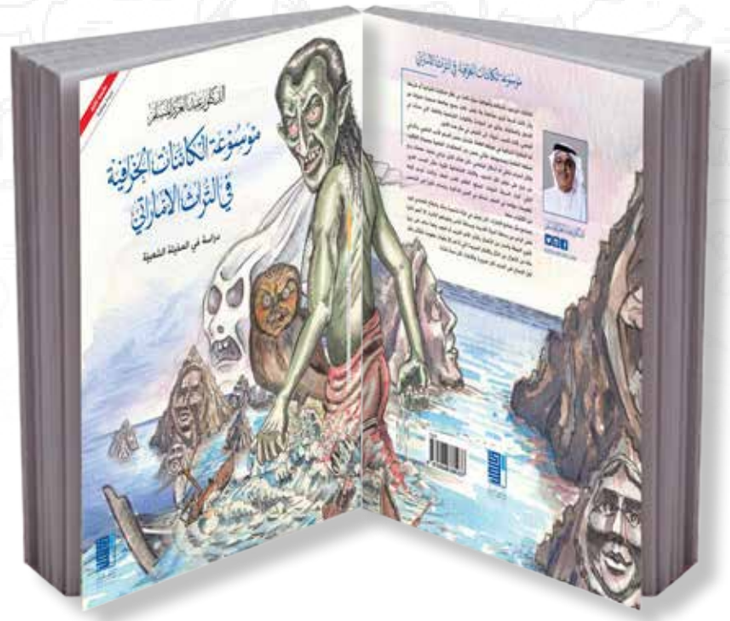

تجليات الحيوان في موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي

منذ أن يولد الإنسان في هذا الكون، وهو يواجه الكثير من التحديات، وتعتبر الطبيعة وما يدور فيها أول ما يواجهه. هناك في المقابل ظواهر طبيعية كظهور القمر، والمطر والبرق والرعد، وأشكال الشجر وتضاريس البيئة، والظلام والأصوات الغريبة، جميعها أسرار صامتة حار الإنسان في تفسيرها، وعجز، بل توقف عن القدرة في تفسيرها، وفك هذه الرموز التي استعصت عليه، ومن ثم شكّلت له هاجساً يرافقه أينما حل وسار، وقادته ظنونه وتفسيره إلى نتائج غير دقيقة، ما دفعه لنسج خياله، وإطلاق العنان في تفسيره هذه الكائنات غير الواقعية؛ لتهدئة خوفه وقلقه الدائم.

د. سالم زايد الطنيجي
كاتب وباحث تراثي – الإمارات

من هنا ظهرت الخرافة التي أصبحت قصصاً يذكرها القاصي والداني من بني البشر. وتعتبر محاولة عبدالعزيز المسلّم في كتابه «موسوعة الخراريف» عملاً أصيلاً وجاداً لحفظ جزء من التراث الشعبي الإماراتي، هو الخراريف، ولولا هذه المحاولة لطوى الزمن ذكرها، وما عادت تذكر على

الألسن، وهو من وجهة نظري رائد الكتابة للخروفة الإماراتية، والخراريف هي جمع، ومفردها خرّوفة.

وسوف أستعرض في هذا السياق مجموعة من العناصر التي ذكرها عبدالعزيز المسلّم، وهي كالآتي:

أولاً: أهمية موسوعة الكائنات الخرافية في توثيق التراث الحكائي.

ثانياً: عناصر موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي.

ثالثاً: الحيوان في موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي.

1. أهمية موسوعة الكائنات الخرافية في توثيق التراث الحكائي

- تشكّل نواة علمية لثقافة تراثية، تعدّ من الثقافة الشعبية في مجتمع الإمارات العربية المتحدة.
- تعدّ عنصراً إنسانياً نجده في جميع الديانات، سواء الإسلامية أو المسيحية أو اليهودية.
- ترتبط بالثقافات الإنسانية، ومنها العربية والفرعونية والفارسية والآشورية والبابلية.
- هناك تراكم ثقافي شعبي ضخم في التراث الإسلامي لهذه الكائنات، في الدين الإسلامي والقرآن الكريم.
- ذكرت في كثير من كتب التراث العربي بتصورات متعددة لهذه الكائنات.
- تحظى كتب السحر بمئات من المؤلفات التي تعرضت للكائنات الخرافية، مثل مؤلفات البوني والشعراني وابن الجوزي.
- التطرّق لهذه الكتابات يحمل مداخل عديدة، حيث وضحت الدراسات الميدانية أن المعتقد الشعبي يرى أن الجن أسبق خلقاً من الإنس.
- يحفل التراث الشعبي بمئات من العناصر الخرافية الأخرى، مثل ألف ليلة وليلة، والسير الشعبية.

2. عناصر موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي

اشتملت موسوعة الكائنات الخرافية على أربعة عناصر، هي:

- الإنس.
- الجن.
- الجماد.
- الحيوانات.

3. الحيوان في موسوعة الكائنات الخرافية

- «الراعبية»

أثارت «الراعبية» حفيظة الشعراء الشعبيين، ولها دور كبير في الحكايات والأقوال الشعبية، وتختلف قليلاً عن الخرافات الأخرى الموجودة في موسوعة عبدالعزيز المسلّم، ووجه الاختلاف هنا أن «الراعبية» ليست مخيفة ومرعبة في خاتمتها، وعادةً ما تنتهي البطلة بأن تتحول إلى حمامة تملأ الدنيا لحناً وشدواً وغناء جميلاً، وكذلك لا تُرى فيما بعد بأي هيئة أخرى غير الحمامة المغرّدة التي يفيض المكان بصوتها الحزين، وتشكو الفراق والبعد والهجران.

«الراعبية»: الحمامة البرية، تعيش وتتكاثر في براري الإمارات وصحاريها، ويطلق عليها حمامة بر، وجمع «الراعبية»: حمام راعبي، حمام راعبيات، وقد يسمى الذكر الراعبي، والأنثى الراعبية، هي طائر، لونها رمادي، ولها خط أسود حول رقبتها، ويستبشر الناس برؤيتها، وكثيراً ما يتم سماع صوتها الشجي على أغصان أشجار الغاف والسمر.

الدلالة اللغوية:

(رَعَبَ) رُعْبَاً: خاف وفزع، ورعّب فلاناً: خوَّفَه وأفْزَعَه.

(ارتعب): خاف وفزع.

(المَرْعَبَةُ): موضع الرعب والفزع، (جمعها) مراعب.

وقد تكون تسمية (الراعبي) جاءت من كونها «مرعوبة»؛ خائفة دائماً.

الوصف: توصف «الراعبية» بأنها حمامة صغيرة الحجم، جميلة الشكل، لونها رمادي يميل إلى البني، وعلى رقبتها طوق أسود، منقارها رمادي، رجلاها رماديتان قصيرتان، صوتها شجي جميل، دائمة الغناء في النهار، تبني أعشاشها في الأماكن البعيدة والعالية عن الناس؛ حتى تحمي صغارها.

علاقة الحيوان بالتراث العربي:

يحكى أن امرأة كانت تعيش مع طفلها الوحيد في البادية، وكانا يسكنان في مكان بعيد ومنعزل عن الناس، بسبب بعض الظروف التي دعت الآخرين إلى أن يهجروا المكان، ويتركونهما وحيدين في ذلك المكان الموحش.

كانت المرأة تعتمد على نفسها، وعلى ابنها في تدبير حاجاتها الشخصية من دون عون أحد، إلّا في حال مرور قافلة، أو استقرار إحدى القوافل بجانبها

لفترة قصيرة، ثم ارتحالها لمكان آخر، وأحياناً ترسل ابنها لطلب شيء هم بحاجة إليه، وأحياناً أصحاب القوافل يرسلون لها بعض الطعام والشراب. وفي يوم من الأيام انقطعت القوافل عن المرور في هذا الطريق، ثم رأت ناراً مضيئة من بعيد في مكان مواجه لبيتها، وبما أن النار التي بحوزتهم قد نفدت، ارتأت إرسال ابنها ليأتيها بشعلة من النار، ذهب الولد الصغير في الظلام الدامس، والأم تراقب مسيره، إلى أن اختفى، وجلست ترقب حضوره، ومرت الدقائق والساعات من دون أن يعود، هبت الأم لمعرفة ماذا جرى لابنها، وكلما سارت في الطريق، اختفت النار عنها، ظلت تبكي وتصرخ منادية ولدها الصغير، واتضح لها أن تلك النار ليست عادية، بل هي نار الجن، يشعلونها لاستدراج الإنس ليأكلونهم، اشتد الحزن على الأم، ولكن دون جدوى، الغائب لم يعد إلى الأبد، فلما اشتد الحزن أكثر، تحولت الأم إلى «حمامة راعبية»، تطير من مكان إلى آخر، بحثاً عن وليدها، وهي تغني لفقد الولد.

علاقة الحيوان بالتراث المحلي

ومن ضمن الحكايات والأقوال الشعبية التي قيلت عن الراعبية، أنها حمامة عادية من حمام البر، وضعت بيضتيها في العش، وطارت لتأكل شيئاً يسد جوعها، لكن صبياً مرّ على عشها، وسرق بيضتيها، ومن ذلك الوقت ظلت تبكي وتلوم الناس؛ لأنهم لم يتدخلوا لمنع الصبي من إيذائها، وكأنهم شاركوه في الإثم؛ لذا هي تأتي

حوار بين رجل يعاتب حمامة على كثرة لوعتها، وشكواها المستمرة، رغم مرور سنين من دون فائدة من وراء هذا الحزن، فقال:

يالراعبي تصيح بيضة من سنين

من يوم آدم والنبي والصحابة

ردت عليه الراعبية:

أصيح الهوى ما بين غصنين

وانته يالدني وش تبابي

من البراري المحيطة بالمدن، وتحل على بيوتهم، لتذكرهم بجريمتهم، وتلومهم، وتقول:

كو كو كوكو

وابيضتي

كلها الصبي

ما يستحي

يران السو

من بين الضو

ما حايزو

عن بيضتي

ومن الأقوال الشعبية في هذا السياق، أنه قد تم

بعير بوخريطة

الحيوانات البيئية مادة رئيسة لصنع الخرافة في الإمارات، أما أهم الحيوانات التي صيغت عنها كثير من الحكايات، وتمثلت في أكثر من كائن خرافي، فهي الجمال، ومنها «بعير بوخريطة»، الأكثر إرهاباً ورعباً.

التسمية:

«بعير بوخريطة» تسمية مركبة من «بعير»: الجمل، «وبوخريطة»، «بو»: تعني ذو، و«خريطة»: تعني الكيس.

وفي الصحاح: «الخريطة» بالفتح: وعاء من أدم وغيره، تسرج على ما فيها.

في التراث العربي

في اللغة: (البعير) يشمل الجمل والناقة، كالإنسان للرجل والمرأة، وإنما يسمى بعيراً إذا أجذع.

ليلة البعير: الليلة التي اشترى فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من جابر جمله.

في المستطرف، عند الأبشيهي: «قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان: ليس لشيء من الفحول مثل ما للجمل عند هيجانه؛ فإنه يسوء خلقه، فيظهر زبده، ويقل رغاؤه؛ فلو حُمل عليه ثلاثة أضعاف عادته حمل، ويقل أكله، ويخرج له عند رغائه شقشقة لا تعرف من أي شيء، هي من أجزائه».

في التراث المحلي

للبعير الكثير من الذكريات والحكايات، إذ يتحدث الناس عن صفاته وفوائده، وقدرته على الصبر والتحمل، وعن غضبه وغدره وحقده، علاوةً على ذلك؛ فكثير من الأمثال كان البعير مادتها الأولى، ومن ذلك قولهم «الرأي مثل البعير الشارد»، «يا ليت رقبتي رقبة بعير»، «البعير بعير الشيوخ والعصا من الوادي».

وكثير من الناس حملوا اسم البعير لقباً أو وصفاً، أو عُيّروا به؛ فكلّ طويل أو حاقد أو غيور أو صبور، يسمى بعيراً.

تجليات الحيوان في موسوعة الكائنات الخرافية ظهرت بمظاهر مختلفة، وصور متعددة، وأشكال متغيرة، وهي تعكس طبيعة البيئة التي عاش فيها الإنسان، وأصبح منتمياً إليها، ومن خلال المرور السريع على هذه الكائنات التي وظّفت بشكل جميل في الخرافة الشعبية الإماراتية، نجد أن هناك قراءة تحليلية واضحة من جانب الباحث عبدالعزيز المسلّم، حيث أظهر هذه الحيوانات وعلاقتها بالخرافة الشعبية محلياً وعربياً، ووضّحها لغوياً، وهي أدوات ساعدت على توضيح الصور الكلية للكائنات والمعتقدات الشعبية، وبالتالي يحسب للباحث هذا الجهد الذي من خلاله حفظ هذه الثقافة الشعبية من النسيان، وكذلك آلية المقاربات للباحث كانت تصب في الربط بين البيئة والإنسان والثقافة الشعبية والعربية.

نظرات في طبائع الحيوانات الأليفة في التراث العربي

(القط)

د.بوزيد الغلى
كاتب – المغرب

يزخر التراث العالمي بكثير من المعارف المتصلة بعلاقة الإنسان بالحيوان، التي شهدت طفرات لاتزال الأبحاث تستجلي معالمها، فقد ألفت Joséphine Lesur كتاباً تحت عنوان: ..والغزالة أصبحت شاة[1]، اعتمدت فيه على حفريات تتعلق ببقايا عظام الحيوان، خلال فترات ما قبل التاريخ، بشمال إفريقيا، وخلصت إلى تأكيد خصوبة العلاقة التي ربطها الإنسان بالحيوان، إذ عمل عبر آلاف السنين على تدجين الحيوانات من أجل الاستفادة من لحومها وألبانها وجلودها وريشها (مثل: ريش النعام).

وبالنظر إلى التراث العربي، نجد نظرات ثاقبة للجاحظ في كتابه الحيوان، إذ يسمي الحيوانات الأليفة بالأجناس التي تعايش الناس، مثل: «الكلب والسنور (الهر)، والفرس، والبعير، والحمار، والبغل، والحمام، والخطاف، والزرزور، والخفاش، والعصفور»[2].

ونظراً لتشعب وغزارة محتوى كتب التراث عن هذه الحيوانات الأليفة، وعدم كفاية حجم هذه المقالة لاستجماع أطراف الحديث عنها، فإننا سنقصر هذا الحيز على تناول القط في بعض كتب التراث العربي.

القط: تحت مجهر البحث العلمي

لايزال مسار تدجين الحيوانات الأليفة وتحولها من (التوحش) إلى (التأنس)، كي تصير مسخّرة للإنسان، تثير شهوة البحث العلمي، خاصة في مختبرات العلوم الطبيعية، ومختبرات البحث الأركيولوجي، فقد أجرت إذاعة فرنسا الثقافية France culture مقابلات مهمة مع متخصصين أسهموا بأبحاثهم في كشف كثير من الأسرار التي كشف عنها البحث والاستقصاء، إذ قلل الباحث في معهد جاك مونود Thierry Grange من شأن الاختلافات التي أثبتها الفحص الجينومي بين القط الخلوي (قط البراري) والقط الأليف، كما أن عودة القط الأليف إلى حياة البراري Le chat haret، أثارت الانتباه إلى ضآلة الاختلاف بينه وبين القط التائه Le chat errant والقط الخلوي أو المتوحش Le chat sauvage.

يذكر جورج بوزنر في معجم الحضارة المصرية القديمة أنه «كان بمصر نوع من القطط يعيش برياً منذ عصور ما قبل التاريخ»، أما القط المصري الأليف، فترجع أقدم إشارة إليه، حسب مؤلف كتاب «القط في المعتقد الشعبي وأصوله» إلى نحو 2100 ق.م، فكان اسم والدة أحد رجال الملك منتوحتب الأول «القطة»، «وتشير المصادر التاريخية إلى أن الإلهة باستت (القطة) ليس لها اسم قائم بذاته، بل مِثلها مثل بعض الآلهة اشتق اسمها من المدينة التي تعبد فيها، وهي باست (تل بسطة)»[3].

القط في كتب التراث العربي

يحفل التراث العربي بمادة وفيرة عن القط وطباعه، التي أورد بعضها المروزي في كتابه: «طبائع الحيوان»، واختصها قبله الجاحظ بشيء من العناية، إذ انتبه إلى أن «السنور يناسب الإنسان في أمور منها: أنه يعطس، ومنها أنه يتثاءب، ومنها أنه يتمطى، ويغسل وجهه وعينيه بلعابه»[4]، كما ذكر أنه «كثير الأسماء القائمة بذاتها غير المشتقات، مثل القط والهر والضيون والسنور، وليس للكلب اسم سوى الكلب، ولا للديك اسم إلا الديك»[5]، أما الدميري فقد أشار إلى كثرة الأسماء التي اشتهر بها، لدرجة أن أحد الأعراب استكثر عددها فقال: «ما أكثر أسماءه وأقل ثمنه»، كما بيّن حكم أكله، وأسهب في حشد الشواهد من الآثار والأشعار والأمثال[6].

يميز المروزي بين القط الأليف أو الأهلي، والقط

المستوحش الذي قال عنه: إنه من «السنانير شديدة التوحش، يصيد الأرانب واليرابيع والضب وأمثال ذلك، ويخالط الثعالب، ويتسافد معها ويتلاقح»[7]، خلافاً للمستأنس من القطط الذي ميز فيه أيضاً بين القط اللئيم خبيث النجاد، ونقيضه كريم النجاد نظيف الجسم، إذ إنه لا يلوث المكان الذي يعيش فيه بروثه، بل يحفر التراب، ويدفن فيه فضلاته حتى لا تنبعث الرائحة، بل إن المروزي شبه القط بالأسد، قائلاً نقلاً عن بعضهم: «إن السنور أسد مستأنس»[8]، وذكر أن وجه الاختلاف في اللون بينهما يكمن في أن الأسود لا تختلف ألوانها إلا في النادر، خلافاً للسنانير التي تختلف ألوانها بين «الأبيض والأسود والأحمر والأكهب والخلخي والأبقع والمتمر»[9]، ولخصّ الجاحظ أوجه الشبه بينهما في «الوثوب والتخلع في المشي»[10].

طباع القط كريم النجاد:

من طباع القط الأليف كريم النجاد، أنه لا يؤذي الحمام وفراخ الطيور التي في بيت صاحبه، بل يلاعبها ولا يتعرض لها بشيء من الأذى، بل إن من حسن طباعه أنه يتملق لصاحبه، ولا يأنف من التحنن والتمسح، إذ «يدخل تحت الثياب، فيلحس الأعضاء، وهو في ذلك كله، يخفي مخالبه، ويسترها؛ كي لا يخدش شيئاً»[11].

وتمتاز السنانير بشدة التمسك بأوطانها، «فإذا انتقل أربابها من دار إلى دار، كان وطنها أحب إليها منهم»[12]، فقد يحبس أحدها شهراً أو أكثر، فإذا انفك رباطه وأطلق سراحه، «عاد إلى وطنه، وإن كانت المسافة بعيدة»[13]. ومن شدة تعلقه بموطنه وصاحبه الذي ترعرع في منزله أو أحسن إليه، أنه إن «طرد ونفي لبعض ما يكره، توصل إلى الرجوع وتملق كالمتعذر (من يرجو المعذرة)، وإن أجيع صبر، وإن دعي باسمه الذي لقب به عرف وأجاب»[14]، فهو يميز الاسم الذي أطلقه عليه صاحبه، ويلبي النداء إذا نودي.

طباع القط اللئيم/ خبيث النجاد:

القط خبيث النجاد، «لص لئيم، وشرِه خؤون (...)، فمن ذلك أن صاحب المنزل يرمي إليه ببعض الطعم، فيحتمله احتمال المريب، واللص المغير (...)، ثم لا يأكله إلا وهو يتلفت يميناً وشمالاً، كالذي يخاف أن يسلب ما أعطي، أو يعثر على سرقته فيعاقب»[15]، وهو « كثير الضرر»، وذلك من وجوه منها: «أنه يبول على الثياب النظيفة والبُسُط الفاخرة والأواني المجلوة بولاً متتابعاً، ومنها أنه يروث على البسط والفرُش والمساند المرتفعة (...)، ومنها أنه يدخل النجس والمزابل والبلاليع القذرة، فتتلوث بها أقدامه، ثم يطأ بها البسط النظيفة والسجادات المبسوطة للصلاة»، ومنها «أنه يتناول مما يدخر في البيوت من اللحم واللبن والسمن، وربما كسر عنها الأواني (...)، ومنها

أنه يصيد الفأر والحية أو غيرهما فيحمله إلى موضع فيه بسط نظيفة، فيأكله عليها، فيلوث البساط بِدمها وقذرها»، ومنها أيضاً أنه «يتهارش ويتقاتل، فيعدو على وجوه الناس وهم نيام على فرشهم، فيخدش وجوههم»[16].

وكل هذه الخصال الخبيثة من السعي بالشر والإفساد في الأرض حسب المروزي، لدرجة أن السنور الذكر خبيث الطبع يتجرأ على أكل أولاد الهرة الصغار، ولهذا تحرص أشد الحرص على حراستهم ومنعهم من أذاه. مع أن الهرة تأكل أولادها أحياناً من فرط حبها لهم، وفسّر بعضهم ذلك بالشرَه وغلظ القلب والعقوق. وقد ذكر الجاحظ أن «السنانير تموت عن أكل الأوزاغ والحيات والعقارب، وما لا يحصى عدده من هذه الحشرات، فهذا يدل على جهل بمصلحة المعاش، وعلى حس غليظ وشره شديد»[17].

في الحياة الجنسية عند القطط:

ذكر المروزي أن القطة تعرف ولدها وإن صار في القدّ مثلها، وإن طعمت شيئاً حملته إليه، وهي «تضع في السنة مرتين، ومدة حملها خمسون يوماً، وتضع أولادها عمياً»[18]، ثم يفتحون أعينهم.

وفي سياق بحثه موضوع الرغبة الجنسية والتعبير عنها عند القطط، أشار المروزي إلى وجوب التمييز في الأصوات الصادرة عن القطط بين «صياح الدعاء، وصياح التهديد والوعيد، وصياح الشبق والهيج»، موضحاً في هذا المعنى أن من «أراد أن يعرف ذلك ويتأمله، فليستمع تجاوبها، وتوعد بعضها بعضاً في جوف الليل»، مضيفاً أن «إناث السنانير إذا هجن، واحتجن للسفاد، آذين بصياحهن الناس وأهل المحلة (الحي) ليلاً ونهاراً»[19]، مع العلم أن كل جنس من الحيوان، تكون ذكوره أظهر صياحاً إلا السنانير،

فإن «إناثها أشد طلباً للسفاد من ذكورتها».

ولم تفته الإشارة بإيجاز إلى الشذوذ عند القطط، إذ ذكر أن بعض ذكورها تعاشر الذكور مثلها، وتسافدها دون إكراه. وقد سمى الجاحظ هذه الظاهرة بالحُلاق[20] (بضم الحاء)، وذهب إلى ما ذهب إليه المروزي بعده من أن الأمر شائع في كثير من الأجناس أي أنواع الحيوان.

غريزة القنص واللعب بالفريسة عند القط:

يتمتع القط بحواس تساعده على الصيد (السمع، الشم القوي، البصر)، فهو «ثاقب البصر بالليل»[21]. وقد ذكر الباحث في علم البيطرة Romain EICHSTADT أن «غريزة القنص لدى القط تجعل منه حيواناً قادراً على الافتراس، ويثبت سلوكه أنه ميال إلى تصيد فرائسه بمفرده»[22].

وبصرف النظر عن النتائج الدقيقة التي كشفتها الأبحاث البيطرية، فإن كتب التراث العربي لا تخلو من إشارات نفسية في شأن غريزة الصيد عن القطط، فقد أشار الجاحظ إلى ارتباط اللعب بالفريسة بسلوك الافتراس عند القط، حين وصف صبر القط وتحينه فرصة الإيقاع بالفريسة، وإن كانت متحصنة في السقف، إذ يتربص بها وينتظر حتى «تعيا أو تزلق أو يدار بها (...) حتى تسقط إلى الأرض، فيثب عليها، فإذا وثب عليها لعب بها ساعة ثم أكلها، أو خلّى سبيلها، وأظهر التغافل عنها فتمعن في الهرب، فإذا ظنت أنها نجت وثب عليها وثبة واحدة فأخذها، فلايزال كذلك كالذي يحب أن يسخر من صاحبه، وأن يخدعه، وأن يأخذه أقوى ما يكون طمِعاً في السلامة، وأن يورثه الحسرة والأسف، وأن يلذّ بتنغيصه وتعذيبه»[23].

ولقد أجاد الجاحظ في موضع وصف سرعة القط في الاصطياد، إذ قال: «ومن رأى السنور كيف يختل العصفور، مع حذر العصفور، وسرعة طيرانه، على أن جهته في الصيد جهة الأسد والفهد، ومن رآه كيف يرتفع بوثبته إلى الجرادة في حال طيرانها، علم أنه أسرع من الجرادة»[24].

يتلخص من هذا الوصف أن الجاحظ قد توصل بالملاحظة إلى فهم سلوك الصيد عند القط، ووصف تقنيات صيد الفريسة واللعب بها، وهو الأمر الذي أثبته بعض الخبراء في العصر الحديث، حين أشاروا إلى أن السنانير مفطورة على الصيد، ودعوا إلى ضرورة تمتيع قطط المنازل بفضاء يسمح لها باللعب، بل إن بعضهم ينصح بتفادي فرض عزلة على القط[25] باختيار قط من جنسه كي يؤنسه. وقد أبدع الجاحظ في وصف العناية بالقطط من طرف مالكيها، إذ قال: «السنور يُخضب، وتصاغ له الشنوف والأقرطة، ويتحف ويدلل»[26].

علاوة على ما تقدم، تحفل كتب التراث بمادة شعرية وفيرة عن السنانير، لا تقل غزارة عن المأثورات والأحاديث والأخبار والنوادر التي تبرز اهتمام القدامى بهذا الحيوان الأليف. وقد سبق لمجلة ArabLit Quarterly أن نشرت عدداً خاصاً بالقط[27]، سلط الضوء على صورة هذا الحيوان الأليف في الأدب وفنونه.

1. LESUR, Joséphine, Et la gazelle devint chèvre: pré-histoires africaines d'hommes et d'animaux. Muséum national d'Histoire naturelle, Paris, Presses universitaires du Midi, Toulouse, 2017.
2. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، 1934، ج5 ص207.
3. فؤاد مرسي، القط في المعتقد الشعبي وأصوله الحضارية، محاولة للتفسير، سلسلة الدراسات الشعبية، 128، منشورات الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ص26-27.
4. الجاحظ، الحيوان، ج 5 ص290.
5. الجاحظ، الحيوان، ج 5 ص 336,
6. من بين الأمثال التي ورد فيها القط: «قالوا أثقف من سنور». والثقف الأخذ بسرعة. يقال: رجل ثقف لقف؛ أي سريع الاختطاف. «وقالوا: كأنه سنور عبدالله يضرب لمن لا يزيد سناً، إلا زاد نقصاناً وجهلاً»، يرجع إلى: كمال الدين محمد بن موسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تهذيب أسعد الفارس، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق،1992 ص90.
7. المروزي، طبائع الحيوان، ص215.
8. المصدر نفسه، ص216.
9. المصدر نفسه، ص221.
10. الجاحظ، الحيوان، ص272.
11. المروزي طبائع الحيوان، ص216.
12. الجاحظ، الحيوان، ص314.
13. المروزي ، طبائع الحيوان، ص216.
14. المصدر نفسه، ص216.
15. الجاحظ، الحيوان، ج5 ص311.
16. المروزي، طبائع الحيوان، ص217.
17. الجاحظ، ج5 ص 312.
18. طبائع الحيوان، ص218.
19. المصدر نفسه، ص219.
20. المصدر نفسه، ج5، ص 316.
21. المصدر نفسه، ج 5 ص336.
22. Romain EICHSTADT, IMPACT DE LA PRÉDATION DU CHAT DOMESTIQUE (FELIS CATUS) SUR LA FAUNE SAUVAGE : ENQUÊTE AUPRÈS DE PROPRIÉTAIRES FRANÇAIS PORTANT SUR LA PERCEPTION DE CETTE PROBLÉMATIQUE ET DE MESURES DE CONTRÔLE PROPOSÉES (THÈSE, 2020), p48.
23. الجاحظ، الحيوان، ص252.
24. المصدر نفسه، الحيوان، ص338.
25. Nathalie Simon, la détention adéquate du chat d'appartement : http://www.osteopattes.be/files/library/prophylaxie/Microsoft_Word_-_chat_appart.pdf
26. الجاحظ، الحيوان، ص338.
27. ArabLit Quarterly, VOLUME 3, ISSUE 3, September, 2020

منظومة حياتية كاملة للحيوانات في تاريخ البشرية

فاطمة المزروعي
رئيس قسم الأرشيف الوطني

منذ فجر تاريخ البشرية، كانت الحيوانات مرافقة للإنسان في مختلف تفاصيل حياته، ومع أن العلاقة بين الإنسان والحيوان كانت علاقة تنافسية، وتضاد في المصالح، إلا أنها قامت على المنفعة والاستغلال من جانب واحد، وهو تفوق الإنسان، واستفادته القصوى منها، وهو ما مثل تحكماً مطلقاً بمصائر كثير من الحيوانات، ومع مرور الزمن اشتد هذا الترابط وقوي؛ لذا لا غرابة أن تكون الحيوانات حاضرة في تفكير هذا الإنسان وعمله وإنتاجه.

ولو تم استعراض الحضارات البشرية منذ فجر التاريخ حتى عصرنا، لوجدت الحضور الواضح للحيوانات في مختلف تفاصيل منتجها البشري، سواء كان منتجاً إبداعياً أو توثيقاً وكتابة تاريخ، ستجد ملامح من الإعلاء من قيمة بعض الحيوانات، واعترافاً لها بالفضل في تفوقها وتميزها.

وجدت رسومات لبعض الحيوانات في المنحوتات التي حفرها الإنسان في أغوار الجبال، وعلى الصخور، لقد شكلها الإنسان الأول في إشارة إلى أحداث وقعت، أو لتوثيق حالات ووقائع، بعض تلك الرسومات النحتية كان فيها إشارة إلى الامتنان والعرفان لتلك الحيوانات، وأثرها وقيمتها في حياة الإنسان، ومساعدتها على بقائه وتميزه.

هذه الشراكة، أو القدر الذي جمع الحيوان مع الإنسان، لم يكن اختيارياً أو انتقائياً، بل كان حتمياً؛ لأن الإنسان وبعد اكتشافه النار، تمكن من التفوق والسيطرة التامة على كوكب الأرض، هذا التفوق منحه سلطة غير محدودة، فوجد في بعض الحيوانات المزيد من القوة والتمكين له؛ فهناك حيوانات ناقلة ومساعدة في حروبه ومعاركه المختلفة، بعض تلك الحيوانات كان ملائماً لتناول لحمه للغذاء؛ لذا كانت تربيته مهمة أساسية، فهي تمثل أمناً غذائياً حيوياً، وحيوانات أخرى كانت تقدم الحليب، وبعضها منتجات غذائية مثل البيض، فضلاً عن الجلود، وهناك حيوانات كانت عصية على استئناس الإنسان أو أن تربيتها غير ذات جدوى أو فائدة، خاصة لإنسان تلك العصور الذي كان الكفاح من أجل لقمة العيش، وإيجاد المأوى والطعام والحماية، ذات أولويات قصوى.

الصورة في هذا العصر متغيرة تماماً، باتت الحيوانات أكثر قرباً، وأصبح الإنسان أكثر وعي بأهميتها وأهمية وجودها، فوجدت المنظمات التي تعمل على حمايتها ومكافحة انقراضها، وتعمل للحد من أسباب الصيد الجائر، تطور الإنسان أسهم في تطور الأنظمة والقوانين التي تساعد على أن تعطي هذه الحيوانات الحقوق التي تكفل لها البقاء في مراعيها، وأن تمنع التوسع السكاني والعمراني من اجتياح مواقع غذائها ومراعيها، وهذا

أقل ما يمكن أن يتم، وما يمكن أن يقدم لتلك الحيوانات التي تشاركنا الحياة على هذا الكوكب.

المتتبع لقصة الحيوانات، ووجودها المثير في حياة البشرية منذ الأزل حتى عصرنا، يجد المفارقات والكثير من الموروث القصصي البليغ، الذي نما مع مرور الزمن، وبات جزءاً من التفكير والمعرفة البشرية.

على سبيل المثال لا الحصر، هناك حيوانات كانت مؤثرة في حياة الإنسان، وهذا التأثير امتد حتى وصل إلى مخرجات إنسانية تتعلق بأدب هذا الإنسان وفنه، وستجد إرثاً من النصوص والكتابات، وأيضاً من الفنون التي تأثرت بوجود الحيوانات، الخيول، والجمال (الإبل)، والكلاب والصقور ونحوها، وجدت في تاريخ إنسان هذه المنطقة منذ القدم، هذا الوجود لم يكن ترفاً أو ترفيهاً، بل كان ينم عن حاجة وتبادل للمنفعة، وإن ظهر الإنسان هو صاحب المصلحة الرئيسة في هذه العلاقة، إلا أن توفير الطعام والمأوى لتلك الحيوانات، أسهم في حفظها وحمايتها. استعرض معكم بعض تلك الحيوانات:

الخيول:

ارتبط الخيل بالمعارك والحروب، ومن هنا كانت البراعة والرشاقة للخيل تعني إنقاذ فارسها في أحلك الظروف، وأشد المواقف وأكثرها قسوة؛ لذا تم الإعلاء من مكانة الخيل ومن تربيتها.

الجمال:

الحال نفسه ستجده ماثلاً في الجمال (الإبل)، والتي تم استئناسها وتربيتها منذ القدم، فهي الناقل الرسمي والوحيد لإنسان تلك الحقب، من خلالها كان ينتقل ممتلكاته ويحملها على ظهورها، خلال رحلات مضنية في مطاردة الكلاب والبحث عن مواقع الماء، الجمال كانت أكثر حميمية مع الإنسان، فقد أعطت اللحوم والحليب والجلود، فضلاً عن الركوب والسفر والصبر، وتحمل قسوة الصيف والصحارى.

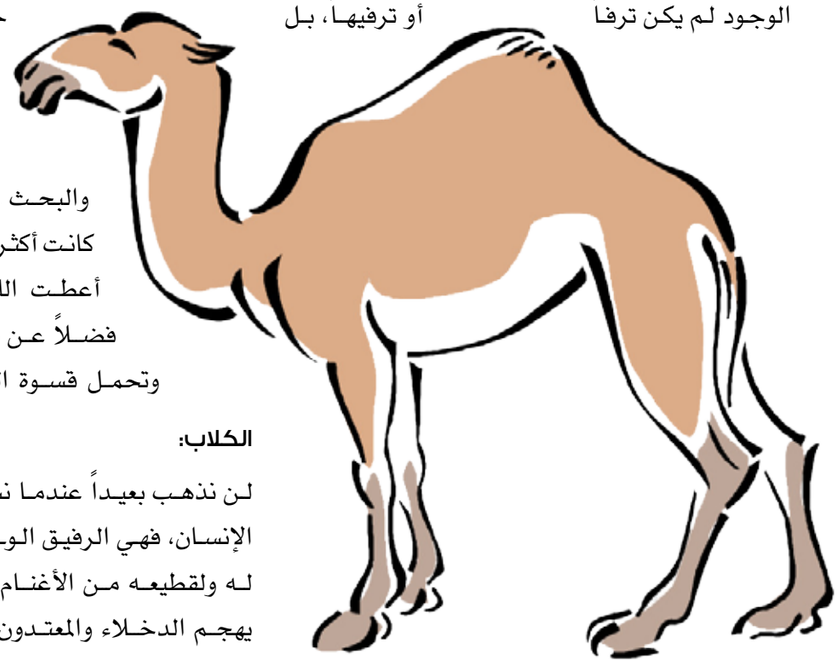

الكلاب:

لن نذهب بعيداً عندما نستحضر الكلاب في حياة الإنسان، فهي الرفيق الوفي للإنسان، وهي الحماية له ولقطيعه من الأغنام، وهي التي تنبه عندما يهجم الدخلاء والمعتدون، فكان الإنسان يكرمها،

ويعلي من قدرها، فهي جزء من منظومته الأمنية.

ومن هنا يمكن أن نضع كل من تلك الحيوانات في إطارها الوظيفي، الذي قدمته على طبق من ذهب للإنسان منذ القدم حتى عصرنا الحاضر، فالخيل كانت جزءاً من منظومة الدفاع والهجوم العسكري، وكان الجمل جزءاً من منظومة النقل والغذاء، وكان الكلب جزءاً من المنظومة الأمنية، تحميه وتنبّهه لأي طارئ قبل وقوعه بوقت كافٍ؛ ليستعد له، ويلتقط سلاحه.

وفق هذه الحاجات والمنافع، كتب الإنسان قصائده، وروى كثيراً من القصص، والتي تخيل خلالها أن تلك الحيوانات تبادله المحبة والألفة، ولم يتوقف الحال عند هذا، فقد وضعت قوائم تحتوي على سلالات تلك الحيوانات، تماماً مثل الإنسان، يتم خلالها تميز الحيوان ببعض الصفات والطبائع، ونحوها من الجوانب التي تم رصدها منذ القدم حتى عصرنا.

في هذا العصر دخلت الحيوانات في الحياة البشرية بشكل أكبر، حيث باتت هناك حيوانات للتسلية وتمضية الوقت، وحافظت الكلاب على مكانتها في قلب الإنسان، كالصديق الوفي، وبقيت الإبل والخيول تحظى بشرف اقتنائها وتربيتها، وهذا تطور كبير وهائل، سمح بنمو كثير من الرياضات الحديثة المقترنة بتلك الحيوانات.

يبقى الحيوان شريكاً أبدياً وأزلياً للبشرية في خيرات هذا الكوكب، ولعل أعظم ما تقدمه البشرية كعرفان للحيوانات، لوفائها مع الآباء والأجداد، المحافظة على بيئاتها الطبيعة، وحمايتها من الانقراض، والسماح لها بالحياة بعيداً عن العيون المتلصصة، وبنادق الصيادين التي لا ترحم.

النص بين الذئب والإبل

مريم سلطان المزروعي
باحثة وكاتبة من الإمارات

عالم الحيوان والطيور لا يمكن الاستغناء عنه من قبل الإنسان، لكون الحيوان وسيلة من وسائل النقل منذ مئات السنين، استخدم في السفر، وفي حمل الأمتعة، وقامت عليه الحروب والصراعات والمعارك، فلم تكن هناك حروب إلا كانت وسيلة النقل فيها الخيل والإبل أو الفيلة، وعالم الطيور عالم للترويح عن النفس، إذ يستخدم في الصيد والقنص، ووسيلة للبحث عن مصادر الرزق.

الحيوانات والطيور التي ذُكرت وكُتب عنها، أصبحت أبطالاً للعديد من القصص والحكايات التي سردت وترسخت في الأذهان، وهي كثيرة لا حصر لها: كالبقرة والبومة والذئب والثعلب والغراب والإبل والخيل، والدب... إلخ، لكل منها قصة وحكاية، ورُسمت حولها الأساطير والخرافات، وتصبغت بحلية أخرى اكتسبتها من وصف الشعراء ونقد النقاد، فالغراب بلونه الأسود الحالك السواد، ومنقاره ونعيقه الذي هو نذير الموت، كان سبباً ذات يوم، عندما وطئ سيدنا آدم الأرض في تعليم قابيل كيف يواري سوأة أخيه هابيل، على الرغم من أن العرب كانت تقول في بعض أمثالها «أبكر من الغراب»، وهو ضرب من ضروب الشؤم المرتبط بالموت، ولكن الغراب يعتبر من أذكى الطيور، ونافذ البصر، وصاف العين، وقد قال عنه أبو الطَّمحان القيني:

إذا شاء راعيها استقى من وقيعةٍ

كعين الغُرابِ صفوها لم يُكَّدرِ

وإذا جئنا إلى الإبل، فإن لها مكانة عظيمة في نفوس العرب، لا تضاهيها منزلة سوى الخيل، لأهميتها للعربي، والدور الكبير الذي قامت به، كما إن قوة أي قبيلة كانت تقاس بكثرة أعداد الإبل وبأفضل سلالتها، ويقول أكثم بن صيفي التميمي، الملقب بـ«حكيم العرب»: «عليكم بالإبل فأكرموها، فإنها حصون العرب، ولا تضعوا رقابها إلا في حقها»، ولمكانة الإبل كُتبت بها القصائد والأشعار، ومدحها الشعراء، وضُربت بها الأمثال، فقد زخر التاريخ العربي بالعديد منها، وكان لها طابع ثقافي واجتماعي واقتصادي، ولفظ الإبل جمع، وقيل إنها مؤنثة، والمفرد الذكر، يكون جملاً، بينما الأنثى يقال لها ناقة، والمطايا مفردها مطية، والعرب تقدر الإبل مالاً، خاصة إذا كانت من سلالة طيبة ومعروفة، يقول منازل بن زمعة المنقري:

ولم يُوردوا ماء، ولم يُروَ جارهم

ولم يجلبوا للضيف، والمال يورد

ومن طبائع الإبل الغيرة، والصبر على الحمل الثقيل والعطش؛ لذلك فهي تميل إلى شرب المياه الكدرة الغليظة، وإذا وردت ماء العذب حركته بأرجلها حتى يكدر.

وللذئب مسميات وصفات عدة متفاوتة، كما أن هذه الصفات والسلوك تستحق المدح والإشادة، فالذئب العربي متناسق الجسم، صغير الحجم، حاد الذكاء، يتسم بالصبر والصداقة، واليقظة والحذر، لديه عداوات مع الرعاة، لقدرته على الوصول إلى زرائب الماشية وافتراسها، يذكر المؤلف الدكتور فيصل عمّار العماري، في كتابه «الذئب في الأدب العربي»: «إن الذئب ولد خصومات مع الإنسان، ومن حقيقة إلى خيال، والذئب رمز الإنسان في الصحراء، وشبّه الذئب بالغول، وتوالت الأشعار والقصص والملاحم، التي سُردت وحُكيت حوله، وتغنى به الشعراء بالقصائد، واهتموا بالذئب واختص به التراث الشعبي والأسطوري، كما دخل في الخرافات، وتغلغل في التفكير الاجتماعي للإنسان، منذ العهود الغابرة، كما تم استغلال الذئب رمزاً سياسياً اجتماعياً، كما الحال في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع، وفي قصة (الذئب ووتر القوس)».

يقول الشاعر الأحيمر السعدي:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوّت إنسان، فكدت أطير

كما قال:

ذئاب تعاوتْ من سُليم وعامرٍ

وجسرٍ، وقد تُلفى هُناك ذئابها

يقول أحد المعاصرين: «إذا دعيت إلى مأدبة الذئاب، فاصحب كلابك معك»؛ وقولهم أيضاً: «من لم يستذئب أكلته الذئاب»، كما لايزال الذئب ملهماً للإنسان في الأدب والفكر والفن، بدءاً من العصر الجاهلي، وذكر في القرآن الكريم، ومن أشهر قصصه (قصة نبي الله يوسف وإخوته)، وفي العصر الأموي، فالعصر العباسي، وهناك العشرات من القصص ومئات النصوص الشعرية والنثرية والأعمال الأدبية والفنية التي يرد فيها اسم الذئب، أو بعض أوصافه وسماته، أو تشبيهه ببعض الصفات كالحيلة والدهاء والقوة، كما أن العرب كانوا يطلقون على قطاعي الطرق بذئاب الصحراء، وهناك مسميات عدة أُطلقت على الذئب منها: أوس وأويس وسرحان والأطحل أو ثمامة، ومذق وغيرها الكثير. قال الراجز:

حتى إذا جن الظلام واختلط

جاؤوا بمذق، هل رأيت الذئب قط؟

والذئب لا يواجه الإنسان، وإنما يأتيه من خلف، فإذا وجد الإنسان ما يسند ظهره إليه عجز الذئب عن افتراسه، وهنا ذكر العرب: «أحمق من جهيزة»،

وهي عِرّس الذئب؛ أي أُنثاه، وهي تدع ولدها، وترضع ولد الضبّع، كما قال ابن جِذل الطعّان:

كمُرضعَةٍ أولاد أخرى، وضَيَّعتْ

بنيها، ولم ترقع بذلك مرْقعاً

إن الإرث العربي زخم وشاهد، فقد مثل الحيوان بكل الصفات القوية والشجاعة، وكذلك بمعظم الصفات السيئة كالكذب واللؤم، عندما وصف كعب بن زهير الذئب بقوله، واصفاً الذئب إذا لم يظفر بفريسته، تجرأ على بني آدم عندما يأنس منهم خوفاً زادت جرأته:

وإن طاف ولم يظفر بضائنةٍ

في ليلةٍ، ساور الأقوام والنَّعما

كما أن الشعراء في الشعر النبطي كان لهم باع في ذلك، فقد وظفوا قريحتهم في وصف ا لذ ئب

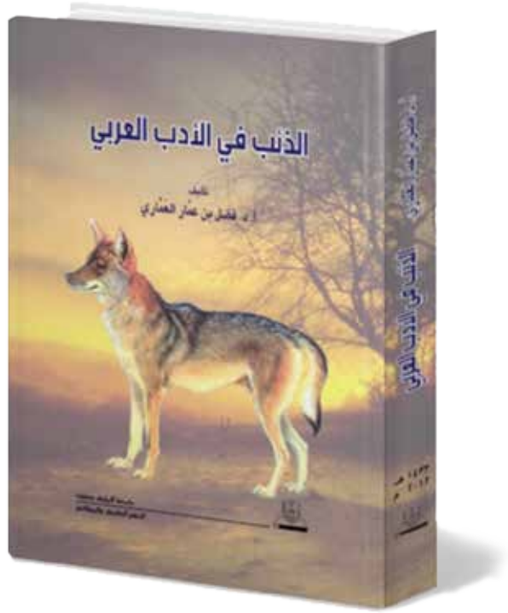

وتوظيفه في نصوصهم في مختلف صفاته، ومن شواهد ذكر الذئب نجد الماجدي بن ظاهر يشير إلى الحذر من الذئب بقوله:

ولا تأمنن الذيب وإن طال غيبته

يجي والوهانا ذايد النوم زادها

فللكلب نومات وللسبع سريه

على الضان أخفى وانتقى من مدادها

وذهب صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، إلى التفاضل بين الذئب والثعلب، ويجد أن الزمان قد غدر بالذئب، حتى أصبح أقل شأناً من الثعلب، بقوله:

يا شيخ هذا زمانٍ كلّه أنعامي

الذيب جايع وشبعانه حصانيها

إن مفكري العرب وأدباءهم اهتموا بسرد قصص الحيوان، وكُتبت المؤلفات وأشهرها كتاب «الحيوان» للجاحظ، وكتب الدميري وأحمد شوقي وغيرهم، وهذه الدائرة لم تكن مختصرة على حدود معينة، بل امتدت واتسعت إلى الأدب الإنساني كله، فأجمل ما كُتب كان على لسان الحيوان، والتي لعب فيها الحيوان دور البطولة، واتسم بصفات الحكمة والأدب والسياسة والعبر، والكاتب العربي استطاع أن يستخرج الشيء القليل من هذه الصفات، ويجسّدها ويسردها على أطفاله في صورة قصصية جميلة، وهذا ملاحظ من حكايات الجدات وتنقلاتها عبر الأجيال، حتى وصلت إلينا مكتوبة ومرسومة، لتكون أكثر وضوحاً في الذاكرة وترسخاً.

طيور الصيد في تراثنا العربي

خالد صالح ملكاوي
باحث وإعلامي – الأردن

تحتل الحيوانات نصيباً وافراً من كتب التراث العربي، التي وثّقت كل ما يتعلق بها من الدواب والطير، لاسيما تلك التي لازمت حياة العرب ومن عاصرهم في مجال الصيد، إذ انبرى كثير من العرب للبحث والكتابة حول أدقّ التفاصيل المتعلقة بحياة طيور الصيد، وبعلم البيزرة، وتُرجم عدد من مؤلفاتهم في عصر النهضة الأوروبية الحديثة إلى اللغة اللاتينية، ثم انتشرت هذه الترجمات بعد ذلك في مختلف بلدان أوروبا. وحفلت تلك المؤلفات، إلى جانب معلوماتها العلمية، بالعديد من القصص والأشعار والأمثال التي تضيء جانباً مهماً من تراثنا العريق.

الصقر

الصقر

من أشهر طيور الصيد الجوارح الأربعة: وهي الصقر والشاهين والعقاب والبازي، وتُنعت أيضاً بالسباع والضواري والكواسر، والصقر أشهرها عند العرب، وكنيته أبو شجاع وأبو الأصبع وأبو الحمراء وأبو عمرو وأبو عمران وأبو عوان. وتسميه العرب كذلك الأكدر والأجدل والأخيل.

وقالوا في الأمثال: «أخلف من صقر»، وهو من خَلوف الفم، وهو تغيّر رائحته، فلا يشرب ماء، ولو أقام دهراً؛ ولذلك يوصف بالبخر ونتن الفم.

وتشير القصص التاريخية التي تروي عن أول من لعب بالصقور، الأمير الحارث بن معاوية بن ثور الكندي، أنه وقف يوماً لقانص، وقد نصب حباله للعصافير، فانقضَّ أكدرٌ على عصفور منها قد علق، فعلقه الأكدر، فجعل يأكل العصفور وقد علق، فعجب الملك، فأتى به وهو يأكل العصفور، فرمى به في كسر البيت، فرآه قد دجن، ولم يبرح مكانه، ولم ينفر، وإذا رمى إليه طعاماً أكله، وإذا رأى لحماً نهض إلى يد صاحبه. ثم دُعي فأجاب فطُعم على اليد، وكانوا يتباهون بحمله، إذ رأى يوماً حمامة فطار إليها من يد حامله فعلقها، فأمر الملك باتخاذها والتصيّد بها. فبينما الملك يسير يوماً، إذ نفجت أرنب فطار الصقر إليها فأخذها، فطلب بها الطير والأرانب فقتلها، واتخذها العرب بعده، ثم استفاضت في أيدي الناس.

قال رؤية بن العجّاج:

كأنه حطَّان منجنيق ... إذا انتحى بمخلبٍ علوق
طأطأ منهنّ عن التحليق ... قد وثقوا من وقعة الموثوق
بوقع لا وانٍ ولا مسبوق ... يدير عيني وعلٍ موروق
يصكّ كلّ خُرّبٍ بطريق ... بين فضاء الأرض والمضيق

الشاهين

الشاهين

والشاهين أبرد من الصقر وأيبس مزاجاً، وهو شديد الضراوة على الصيد، ولأجل ذلك ربما ضرب بنفسه الأرض فمات.

ومن القصص التي تكاد تجمع عليها كتب البيزرة وغيرها، ما يتعلق بأول من عرف الشواهين ودربها، وهو قسطنطين الأكبر ملك الروم؛ فالشاهين، حسب ما يحكي الدميري، قد كان هواية معروفة لدى الإمبراطور، وكانت الشواهين رُيضت له، وعُلِّمت أن تحوم على رأسه إذا ركب، فتُظلُّه من الشمس، وكانت تنحدر مرة، وترتفع أخرى، فإذا ركب وقفت حوله؛ إلى أن ركب يوماً، فثار طائرٌ من الأرض، فانقضّ عليه بعض الشواهين، فأخذه فأعجبه ذلك، وضرّاه على الصيد.

قال الفرزدق:

حمى لم يحطّ عنه سريع ولم يخف
نويرة يسعى بالشياهين طائرة

وقال عبدالله بن المبارك:

قد يفتح المرء حانوتاً لمتجره
وقد فتحت لك الحانوت بالدين
بين الأساطين حانوت بلا غلق
تبتاع بالدين أموال المساكين
صيّرت دينك شاهيناً تصيد به
وليس يفلح أصحاب الشواهين

العُقاب

وكنيته أبو الأشيم وأبو الحجاج وأبو حسان وأبو الدهر وأبو الهيثم، والأنثى أم الحوار وأم الشعو وأم طبلة وأم لوح وأم الهيثم. والعرب تسمى العقاب الكاسر. يذكر الدميري بأنها تبيض ثلاث بيضات في الغالب، فإذا خرجت الفراخ ألقت واحداً منها؛ لأنه يثقل عليها طعم الثلاث، وذلك لقلة صبرها.

ويصفها الدميري كذلك بأنها تتغدى بالعراق، وتتعشى باليمن، ومتى ثقلت عن النهوض وعميت، حملتها الفراخ على ظهرها، ونقلتها من مكان إلى مكان، فعند ذلك تلتمس لها عيناً صافية بأرض الهند، على رأس جبل فتغمسها فيها، ثم تضعها في شعاع الشمس فيسقط ريشها، وينبت لها ريش جديد، وتذهب ظلمة بصرها.

وأول من صاد بالعقاب وأدَّبها أهل المغرب. يحكى أن قيصر ملك الروم أهدى إلى كسرى ملك فارس عقاباً، وكتب إليه: «علّمها، فإنها تعمل عملاً لا يدركه أكثر الصقور»، فأمر بها فعُلّمت، وصاد بها، فأعجبته، ثم جوَّعها ليصيد بها، فوثبت على صبي من حاشيته فقتلته. فقال كسرى: غزانا قيصر في بلادنا بغير جيش. ثم أهدى كسرى إليه نمراً أو فهداً، وكتب إليه: «قد بعثت إليك بما تقتل به الظباء، وما قرب منها من الوحش»، وكتم عليه ما صنعته العقاب، فأعجب به قيصر، إذ وافقت صفته ما وصف، فغفل عنه يوماً، فافترس فتى من بعض فتيانه. فقال: «صادنا كسرى، فإن كنا قد صدناه فلابأس»، فلما بلغ ذلك كسرى قال: «أنا أبو ساسان».

وقالوا في المثل: «أطير من عقاب الجو»، ويقال أيضاً: «أسمع من فرخ عقاب»، «وأعز من عقاب الجو». ويقال: «أبصر من عقاب وأحزم». فإن قيل: ما حزمه؟ قيل: إنه يخرج من بيضته على رأس جبل عالٍ، فلا يتحرك حتى يتكامل ريشه، ولو تحرك لسقط.

العقاب

البازي

وصف الحكماء والملوك البزاة وزادوا في الوصف، وأطنبوا في المدح، فقال خاقان ملك الترك: «البازي شجاع مريد»، وقال كسرى أنو شروان: «البازي رقيق يحس الإشارة، ولا يفوت الفرص إذا أمكنت»، وقال قيصر: «البازي ملك كريم، إن احتاج أخذ، وإن استغنى ترك»، ووصفه ابن خفاجة فقال: «هو طائر يستدل بظاهر صفاته على كرم ذاته، طوراً ينظر بنظرة الخيلاء في عطفه، وتارة يرمي نحو السماء بطرفه، وهو جيد الصيد والأثر، حديد السمع والبصر، وقد جمع بين عزة مليك، وطاعة مملوك».

قال أبو نواس في وصفه:

ألبسه التكريز من حوكه ... وشياً على الجؤجؤ موضونا

له جراب فوق منقاره ... جمعن تأنيقاً وتسنينا

كل سنان عيج من متنه ... تخال مَحْني عطفه نونا

الكروان:

طائر لا ينام الليل، سمي بضده من الكرى، يسعى في جوف الليل؛ للبحث عن رزقه، ويخلد إلى الراحة خلال النهار كله، يصدر أصواتاً أقرب إلى النداء أو الابتهال عندما يصل في الليل إلى مكان يجد فيه الطعام.

قال طرفة في أبياته التي كانت سبب قتله:

لنا يوم وللكروان يوم ... تطير اليابسات ولا نطير

فأما يومهن فيوم سوء ... تطاردهن بالحرب الصقور

وأما يومنا فنظلّ ركباً ... وقوفاً ما نحلّ ولا نسير

الحُبارى

وهي من أشد الطير طيراناً، وأبعدها شوطاً، وذلك أنها تُصاد بالبصرة، فيوجد في حواصلها الحبة الخضراء، التي شجرها البطم، ومنابتها تخوم بلاد الشام؛ ولذلك قالوا في المثل: «أطلب من الحبارى»، وإذا نُتف ريشها أو تحسر وأبطأ نباته ماتت كمداً.

سلاحها الذي تدافع به عن نفسها، خزان بين دبرها وأمعائها، تحتفظ فيه دائماً بسائل رقيق لزج، تهاجم به الصقر إذا حاول اقتناصها.

قال الجاحظ: الحبارى لها خزانة في دبرها وأمعائها لها أبداً، فيها سلح رقيق (سائل لزج)، فمتى ألحّ عليها الصقر سلحت عليه، فينتف ريشه كله، وفي ذلك هلاكه. وقد جعل الله تعالى سلحها سلاحاً لها، قال الشاعر:

وهم يتركوك أسلح من حبارى

رأت صقراً وأشرد من نعام

وهي من أكثر الطير حيلة في تحصيل الرزق، ومع ذلك تموت جوعاً. وولدها يقال له نهار، وفرخ الكروان يقال له ليل؛ ولذلك قال الشاعر:

ونهاراً رأيت منتصف الليل

وليلاً رأيت وسط النهار

القطا

يقال للقطاة: أم ثلاث؛ لأنها أكثر ما تبيض ثلاث بيضات. قال الشاعر:

وأمّ ثلاث إن شببن عققنها

وإن متن كان الصبر منها على نصب

أي إن شبّت فراخها فارقتها، فكان ذلك عقوقاً لها، وإن متن لم تصبر إلا وهي حزينة قلقة.

وسميت القطا بحكاية صوتها، فإنها تقول ذلك، ولذلك تصفها العرب بالصدق، فقالوا: أصدق من القطاة.

القطا

قال الكميت في وصفها:

لا تكذب القول إن قالت القطا صدقت

إذ كلّ ذي نسبة لابدّ ينتحل

وقالوا: «لو تُرك القطا ليلاً لنام»، وسببه أن عمرو بن إمامة نزل على قوم من مراد فطرقوه ليلاً، فأثاروا القطا من أماكنها، فرأتها امرأة طائرة، فنبَّهت زوجها، فقال: إنما هذه القطا، فقالت: «لو تُرك القطا ليلاً لنام»، ويُضرب لمن حُمل على مكروه من غير إرادته. وقالوا: «ليس قطا مثل قطى»؛ أي ليس الأكابر مثل الأصاغر.

البازي

الكروان

الحُبارى

المصادر والمراجع

1. أبو بكر بن يوسف القاسمي، كتاب الجوارح وعلوم البزدرة، تحقيق: محمد ياسر زكور، بيروت: دار الكتب العلمية، 2016م.
2. أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، شرح وتقديم: مفيد محمد قميحة، بيروت: دار الكتب العلمية، الجزء الثالث، 1986م.
3. أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش، بيروت: دار الفكر، الطبعة الثانية، 1988م.
4. بازيار العزيز بالله الفاطمي أبي عبدالله الحسن بن الحسين، البيزرة، تحقيق: محمد كرد علي، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، 1995م.
5. راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 2009م.
6. زكريا بن محمد بن محمود القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، اعتناء: محمود عبد الإله سعد، بيروت: دار الكتب العلمية، 2013م.
7. كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بسج، بيروت: دار الكتب العلمية، 2015م.

صورة الراوي في ذهنية المتلقي

د. فهد حسين
أكاديمي وناقد – البحرين

تعدّدت المفاهيم والمصطلحات المعنية بالراوي عبر الزمن والمكان، وفي إطار الدراسات التاريخية والتحليلية والنقدية، حيث لم يجمد المفهوم، ويقف عند بناء واحد، وإنما طرأت عليه تحولات وتغييرات، وبخاصة حين تحول الراوي من الراوي الشفاهي إلى راوي النص المكتوب، من خلال النصوص السردية، إذ كان مفهوم الراوي قديماً في التراث العربي عامة، والشعبي بصورة خاصة، فهو من يقدم الحكاية لعدد من المستمعين، سواء أكانت عبر لغة سردية، أم نصوصاً شعرية؛ أي جرت العادة

عبر تواتر الأجيال زمنياً ومكانياً أن دور الراوي في الموروث الشعبي يكمن في نقل الحكاية وسردها، وهذا يعني أن الراوي قد لا يكون معاصراً للحكاية المسرودة، وإنما وصلت إليه بالتواتر والنقل من راوٍ إلى راوٍ آخر، وهكذا دواليك.

وقد تعدد الرواة وهم ينقلون لنا الحكايات ويسردونها، فهناك راوٍ سمع الحكاية بنفسه وأراد نقلها، وهناك راوٍ لم يسمع الحكاية مباشرة من مصدرها، وإنما وصلت إليه عبر طرف ثالث وأراد نقلها، وهناك راوٍ لديه الإمكانات الفنية والسردية والتخييلية، فينسج بنفسه بعض الحكايات، وكأنها حدثت بالفعل، ومع هذا التعدد، وهذا التنوّع في القدرة على السرد والتمثيل والتخييل، ومع تعدد الروايات والحكايات والرواة أنفسهم، فكلهم مهتمون بسرد هذه الحكايات، وكأنها واقع ماثل يتخيله المتلقي، وحدث ووقع فعلاً في زمان ومكان معينين، ما يعني أن الرواة الشفاهيين كلهم تقريباً دون استثناء لديهم مهارة التخييل، وبناء نص الحكاية وفق متطلبات طبيعة المتلقين لها؛ لذلك نجد بعض الحكايات تزيد أو تنقص وفقاً لحالة الراوي، وقدرته وأهمية هذه الحكاية أو تلك، وطبيعة المستمعين، ومدى أثرها فيهم، فالراوي حين يكون خارج لعبة الحكاية الزمكانية، فهو في الأصل ناقل لها، معتمد على قدرته في النقل والسرد والقول، والتخييل الذي يحفز المستمعين لحالة الانتظار، وهنا يتعمد الراوي في التأخير والتوقع من أجل إثارة الدهشة عند المستمع (المتلقي)، وما العديد من حكايات ألف ليلة وليلة التي وصلت لنا عبر طبعات مختلفة، وذلك

وبين النص المسرود نفسه، بل كثيراً ما ينثر بعض أفكاره وتوجهاته ووعظه في ثنايا الحكاية؛ أي يصبغ على الحكاية بعض أفكاره وفلسفته في الحياة؛ أي حضوره الأيديولوجي يكون بين ثنايا السرد، وهذا يعني أن الراوي في النص الشفاهي ليس حيادياً ولا بعيداً عن الحكاية، بل هو داخلها بصورة ما، وبدرجة ما، بمعنى أن الراوي ناقل الحكاية هنا؛ أي هو بعيد عن الحكاية المروية، ويكون دوره في عملية الإرسال والنقل الذي يتشكل بحسب قدرته وفنون القول عنده، ومعرفة أمزجة المستمعين، ومدى قدرته على التأثير.

هل هناك فرق بين الراوي في النصوص السردية الحديثة كالقصة أو الرواية، والسرد في الحكايات الشعبية؟ بالطبع هناك فرق كبير ومهم جداً، يتمثل في الفرق بين النقل الشفاهي والكتابة، حيث تباين التلقي بينهما، فراوي الحكاية يعتمد الشفاهية، ويتوقف السرد على وجود مستمع، بمعنى حين نقول راوٍ، فهناك متلقٍ أو مستمع لهذه الرواية أو هذه الحكاية، فلا يمكن حضور الراوي قديماً من دون حضور المستمعين، وبخاصة أن الرواية آنذاك محصورة في الشفاهية، أما في النصوص الحديثة، فالراوي لا ينتظر المستمع، الذي هو القارئ؛ لأن الراوي منشغل بأمر كاتب الحكاية، وكيفية بنائها وصياغتها لغوياً تحفز القارئ على القراءة والاستمرار لسير الأحداث، ومع التفاوت في نقل بعضها ناقصاً أو مزيداً أو مقطوعاً، إلا دليل ساطع على ما نقول.

وبهذا فإن حضور الراوي، أو ما أطلق عليه في بعض الثقافات بـ«الحكواتي»، لم يكن حضوراً بريئاً، أو متخلياً عن دوره داخل الحكاية، وإنما - بحسب ما أعتقد - حضوره كامن في نسيج البناء النص المسرود بصورة غير مباشرة، إذ لم ينقل الحكاية على لسانه أبداً، وإنما دائماً ما يقول: قيل - وجاء الخبر - وقد سمع فلان؛ أي يستخدم ضمير الغائب ليضع حاجزاً وهمياً يوهم به المستمع، حاجزاً بينه

هذا فالراوي الشفاهي والراوي في النص المكتوب كلاهما يضع في اعتباره متلقياً ينتظر ويتوقع، فإذا كان الراوي في النص المدوّن الحديث يضع ما يطلق عليه بالقارئ الضمني الذي يستحضره الكاتب أو الراوي، فإن الراوي للحكاية الشعبية يعرف يقيناً أن هناك متلقياً حقيقياً، وهو المستمع للحكاية.

وأعتقد أن الراوي الذي يقوم بنقل الرواية أو الحكاية شفاهياً، كما في التراث الشعبي مثلاً، أو في النص السردي الحديث روائياً أو قصصياً، فهو يدخل في عالم الحكاية بقصدية واضحة؛ لأنه يقدم النص ويرمي من ورائه مجموعة من الأهداف التي عادة ما تكون في النص الشعبي تدور حول التوجيه والوعظ والحكمة والتأملات تجاه الحياة والإنسان، وتلك التناقضات التي تغلف بعض سلوكات البشر، وتكمن القصدية في النص السردي الحديث في طرح قضايا المجتمع الصغرى والكبرى، عبر الصراع القيمي، أو الصراع الطبقي، أو النفوذ والسيطرة، أو مناقشة الاتجار في البشر والهويات وغيرها من السرديات التي كان ولايزال يطلق عليها بالسرديات الكبرى، وفي كلتا الحالين فالراوي محكوم باستراتيجية فنية سردية، يعمل من خلالها على إيصال ما يريده هو كراوٍ في الحكاية الشعبية، أو كموجه من الكاتب في النص السردي الحديث؛ لذلك يكتسب النص الشفاهي سلطته من تراثيته وطبيعة نقله، ومهارة الراوي، وفنونه المتعددة الخاصة بالقول والصوت والنبرات، ويكتسب النص السردي الحديث من طبيعة موضوعه ولغته.

وهناك فرق أساسي بين دور الراويين، فالراوي في الحكاية الشعبية يسعى بكل الوسائل للإقناع فيما يقول ويسرد، وهو يوظف اللغة العاطفية كثيراً، ويقدم الشواهد والدلائل بين الحين والآخر، ويضع المقارنات التي تؤكد ما

يذهب إليه، بالإضافة إلى طبيعة النقل وصوغ الجمل والعبارات، ونبرات الصوت ومخارج الحروف التي يؤكد بعضها، ويترك الآخر، وأهمية التأكيد على جزئية هنا، وإهمال جزئية هناك، مع صوغ الحجج التي تؤيد الرأي الذي يتعاطف معه الراوي نفسه، ومن خلال دغدغة العواطف، يتمكن الراوي من إقناع المستمع بواقعية ما يقول، وحقيقة ما يسرد، إنما في النص الحديث، فالأمر متروك لذائقة المتلقي ووعيه، ومدى تفاعله وانسجامه العاطفي والفكري والثقافي مع طبيعة النص المقروء، فلا تأثير في القارئ إلا من خلال اللغة وطبيعة الموضوع، لهذا فمهمة الراوي الشفاهي كانت ولاتزال أصعب كثيراً من الراوي في النص الحديث.

وعلى الرغم من أن تراثنا أكثره كان يشير إلى ذكورية الرواة، فإن الأدب العربي أكد لنا حضور المرأة في هذا السياق الإبداعي والفني، فشهرزاد هي أم الحكايات، وفيلسوف نقلها، وعالم توصيفها وأهميتها بحسب أولوياتها، بمعنى أن الراوي في تراثنا الشعبي وناقل الحكايات كان من الجنسين، وهذا ما سارت عليه فيما بعد النصوص الأدبية الحديثة من قصة ورواية، بل تعددت الأدوار لهؤلاء الرواة، فمنهم من اهتم بسرد السير لرجالات تاريخية حقيقية أو خيالية، وهناك من اهتم بسرد الرحلات والمغامرات، وآخر اهتم بسرد الأحداث والوقائع، وهكذا، ولكن في الوقت نفسه، هناك من تميز وهو يسرد بالغناء والتطريب، أو بالإنشاد، كما اهتم بعض الرواة بواقع اجتماعي ماضوي وعاداته وتقاليده، مثل الزواج والطلاق، واللباس ونوعه وأشكاله وألوانه في الأفراح والأتراح، أو الاهتمام بالمهن والأعمال التقليدية.

وهناك ملمح مهم جداً في نقل الحكاية وسرديتها، إذ يسرد الراوي الشفاهي الحكايات المنسجمة وطبيعة المستمعين، ويكون حذراً جداً في طرح القضايا ذات العلاقة بالجسد أو الجنس، أو ما يلامس القيم الأخلاقية، وبخاصة حين يكون المستمعون متفاوتي الأعمال والذوق والتلقي، بل لديه القدرة على التوسع في حكاية ما، طالما يرى المستمعين ينتظرون ما سيأتي من مفاجآت، وأحداث غير متوقعة، ويختصر حين يرى السأم والملل داخل هؤلاء المستمعين، والأهم أن الراوي هنا يدخل في سرد الرواية باستهلال يحفز التوقع والانتظار، كأن يقول: جاءنا في الأثر – سمعنا عن فلان بن فلان – هل وصلكم خبر فلان – هل سمعتم عن الحكاية التي تقول كذا أ وكذا، وحينما كنا صغاراً يبدؤون سرد الحكايات بالصلاة على نبينا محمد (ص)، ما يعنى خضوع المستمع بكل جوارحه وأحاسيسه لما سيقال، ويضع كل كلمة يسمعها في عقله، غير أن الراوي في النص الحديث يسرد ما تفرضه الحكاية من جهة، وما يرغبه الكاتب الذي تشكله ثقافته وأفكاره وأيديولوجيته تجاه الموضوع والحدث من دون الوقوف على طبيعة المتلقي وثقافته ووعيه، إلا أن الراوي الأول لا يستطيع الذهاب إلى المستقبل إلا من خلال الحكايات القديمة، والرجوع عادة إلى التاريخ، بينما الراوي الثاني يملك هذه الفنية التي وصلت بنا إلى روايات الخيال العلمي والفانتازيا.

ومع التطور العلمي والتكنولوجي لم يكن راوي التراث

الشعبي بعيداً عن هذه الثورة المعلوماتية، بل هناك من صاحبها، وبنى معها صداقة متينة، إذ سعى بعضهم في عصرنا الحديث إلى تسجيل العديد من الحكايات والمسرودات الشعبية والتراثية؛ لتكون محفوظة عبر الأجيال، وموثقة وبعيدة عن التلف أو النسيان، أو فقدان بعضها بموت بعض الرواة؛ لهذا سعى العديد من المهتمين بالتراث والفولكلور الشعبي إلى تدوين الحكايات وتسجيل القصص، وفهرست موضوعاتها، لتكون مادة مهمة للدراسين والباحثين والمهتمين، وكذلك مادة حاضرة في الثقافة المعاصرة، وثقافة تحيا بحياة الإنسان، ومن هذه الأعمال المهمة ما أصدره معهد الشارقة للتراث، وهو «مكنز التراث الثقافي غير المادي في العالم العربي»، الذي أعده الدكتور مصطفى جاد، حيث صدر حتى الآن – كما أعلم – ثلاثة مجلدات، والعمل الذي قامت به الدكتورة ضياء الكعبي، بالتعاون بين جامعة البحرين ومجلة الثقافة الشعبية في البحرين، وهو «الحكايات الشعبية البحرينية – ألف حكاية وحكاية»، وهو كتاب مكون من خمسة مجلدات، وكتاب «المعتقدات الشعبية في دولة الإمارات العربية المتحدة»، الذي قام على إعداده كل من إبراهيم الهاشمي، والدكتورة عائشة بالخير. ومن المؤكد هناك العديد من الكتب التي دونت التراث على مستوى العالم العربي، وبخاصة بعد مد يد العون والمساعدة المعنوية والمادية من «اليونسكو» لحفظ التراث الإنساني غير المادي.

وأخيراً، نحن كقراء ومتابعين في الشأن الثقافي، كيف لنا أن نتصور تلك الأدوار التي كان يقوم بها الراوي الشعبي، ومدى أهميته في حفظ تراثنا من الاندثار؟ أليس من الواجب علينا أن نواصل دور من قام بالتدوين والحفظ، ونوسّع دائرة الاهتمام؛ ليكون تراثنا ورواتنا محل تقدير لدى الأجيال الحالية والقادمة؟ هذا ما نأمله.

توثيق الرواية الشفهية بدولة الكويت «1»

طلال سعد الرميضي
كاتب – الكويت

إن الأهمية الكبرى للرواية الشفهية في تأريخ الأحداث والشخصيات، تجعلها بالمقام الأول في الأهمية للمصادر التي يستخدمها الباحث في كتاباته، حسب بعض الآراء، وهذا ما اتفق معه إن كانت الأحداث معاصرة أو قريبة العهد، أما إذا كانت الأحداث قديمة، فلا شك في أن الرواية الشفهية تعد مصدراً مهماً للاستئناس في شرح تلك الحوادث، وبيان غموضها، كما سجلتها نصوص المخطوطات والمطبوعات القديمة، وتكمن أهمية الرواية الشفهية بأنها السجل الأساسي لكل مجتمع، وأن كتابات المؤرخين المعاصرين لكل حدث تعتمد في المقام الأول على روايات الشهود، وتحقيقها، واستخلاص الحقائق التاريخية منها.

فلنا في هذا المقام أن نتناول تجربة الكويت في توثيق الرواية الشفهية كمصدر مهم في تاريخ الكويت، ونستعرض بعض الباحثين المشتغلين في جمع الرواية

الشفوية وتدوينها، حيث تعدّ الرواية مصدراً مهماً، إذ عمل كثير من الباحثين بالاستعانة بها في تدوين الحوادث التاريخية وتوثيقها، وأُفردت كتب كثيرة تعتني بجمع هذه الروايات من أفواه الكبار، وتدوينها في صفحاتها، وفق مناهج مختلفة، حسب الموضوعات أو المواقع الجغرافية وغيرها.

توثيق الرواية الشفهية في الكتب التاريخية

وبالرجوع إلى أول كتاب في تأريخ الكويت، وهو للشيخ عبدالعزيز الرشيد، الذي ألّف كتاباً مهماً في عام 1926، يحمل عنوان «تاريخ الكويت»، ويعدّ المرجع الأول للباحثين في تاريخ الكويت، لنجد أن الرشيد قد استفاد من الروايات الشفهية التي سمعها من كبار السن، ومن رجال العلم والسياسة، ودوّنها في صفحات كتابه القيّم بعد أن قام بالمقارنة بينها، وترك الضعيف منها، حيث يقول في مقدمة تاريخه عن منهجه في التعامل مع الرواية المحلية ما نصّه:

«أقدمت عليه غير معتمد إلا على أفواه النقلة، وأخبار الرواة، وعلى نبذ من الرسميات لا غير، ولا أذكر في الغالب من الحوادث إلا ما هو شائع عند كثيرين، وقد اعتمد على رواية فرد إذا كانت معقولة، وليس ثمة ما يخالفها، والقضية الواحدة التي يتفق على أصلها جملة من الرواة، ولكن يختلفون في تفاصيلها، فإما أن أذكر الروايات كلها، أو أختار منها ما أراه في نظري أصح. وقد يكون للحادثة الواحدة، وجوه متعددة، ولم تبلغني إلا من وجه واحد، ربما كان سواه أولى بالترجيح، وسأورد ما أظنه ضعيفاً بصيغة التعريض، مثل: يحكى ويروى وقيل وحكى وروى».

لنجد أن الشيخ الرشيد قام بمبدأ التحقيق والتدقيق بين الروايات الشفوية التي جمعها أثناء تأليفه كتابه، وهذا دور الباحث الجاد ألّا يركن إلى كل رواية تصل إليه، إلا بعد أن يقوم بدراستها ومقارنتها مع المصادر الأخرى، ومن أبرز الشخصيات التي استفاد الشيخ الرشيد من رواياتها في كتابه، نجد الشيخ إبراهيم بن محمد الخليفة، وقاضي الكويت الشيخ عبدالله خلف الدحيان، والشيخ العلامة يوسف بن عيسى القناعي، والسيد شملان بن علي بن سيف، ونقيب أشراف البصرة السيد رجب النقيب، والسيد خلف النقيب.

وفي عام 1946، ألّف الشيخ يوسف بن عيسى القناعي كتاباً قيّماً بعنوان «صفحات من تاريخ الكويت»، وثّق فيه جوانب من تاريخ الكويت ورجالاتها، منذ تأسيسها حتى نهاية عهد الشيخ مبارك الصباح، المتوفى عام 1915، ويعد هذا الكتاب من المراجع القيّمة بتاريخ الكويت، وقام بتأليفه لطلبة المدرسة المباركية، وجاء فيه شيء من الاختصار والإيجاز، إلا أنه أضاف في مواضع كثيرة معلومات نادرة، قلما نجدها في مصدر آخر، وقد استقاها من روايات الثقات في زمنه، حيث ذكر أنه قد استند في تأليفه إلى الرواية الشفهية، حيث يذكر في مقدمة كتابه ما يلي:

«وقد اعتمدت فيها على ما شاهدته، ثم النقل عن الآباء، فنقل الآباء عن أسلافهم».

ويعدّ كتاب القناعي مكملاً لكتاب الرشيد الذي اعتمد عليه في مواضع كثيرة، ونقل عنه مع الإشارة إليه.

وتلا هذين الكتابين كثير من المؤلفات، التي استمدت جزءاً من معلوماتها التاريخية من الرواية الشفهية المحلية، لعل أبرزها كتاب «من تاريخ الكويت»، للمؤرخ سيف مرزوق الشملان، الصادر عام 1959، والذي استند بشكل كبير إلى الروايات المنقولة من

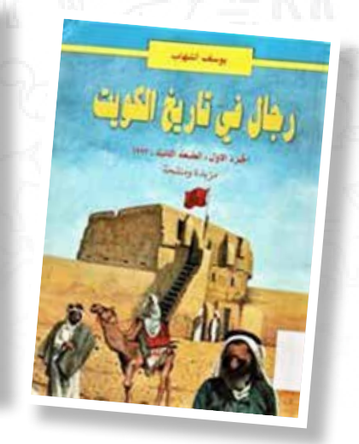

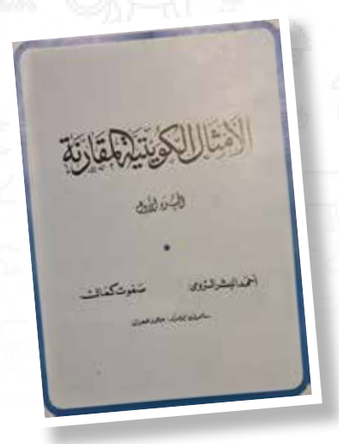

أفراد أسرته، ووثائقهم القديمة في تأليفه كتابه، وإن عاب بعضهم منهجه وارتكازه عليهم.

كما تجدر الإشارة إلى كتاب «من هنا بدأت الكويت» لأمين عام رابطة الأدباء السابق، المرحوم عبدالله خالد الحاتم، والصادر عام 1962، الذي يعدّ بالفعل إضافة حقيقية لتأريخ الكويت، ونموذجاً رائعاً لجمع الرواية الشفوية، واستخدامها في توثيق الوقائع والأخبار القديمة، وتناول هذا الكتاب الشائق الأوليات في تاريخ الكويت، كأول حاكم أو مسجد أو مدرسة أو معركة أو طبيب أو شاعرة أو علم وغيرها، حيث كان جلّ مواد كتابه مشتقاً من أقوال الرواة؛ لأن مثل هذه الموضوعات لا تتوافر في مراجع أخرى، وقد ضم القسم الثاني، الذي يحمل عنوان «أحداث وحكايات»، وهذا القسم مملوء بالقصص والمرويات التي سجلها من أبطالها، أو سمعها عن رجال نقلوها عن آبائهم وأجدادهم، فكانت مادة وثائقية قيّمة جداً.

نضيف إلى ذلك جهود كثير من المؤرخين، الذين جمعوا بعض الروايات الشفوية في ثنايا أبحاثهم التاريخية والأدبية، ومنهم الأديب المشهور خالد سعود الزيد، الذي ألّف كتابه الرائع «أدباء الكويت في قرنين»، وهو مكوّن من ثلاثة أجزاء، وصدر الجزء الأول عام 1967، وحقّق شهرة واسعة، ونفد من الأسواق بسرعة كبيرة؛ لتميز موضوعه، ولروعة الجهد المبذول في جمع المادة التأريخية لشعراء الكويت القدامى.

وللأستاذ أحمد البشر الرومي، تجربة فريدة في جمع الأمثال الكويتية، الذي يقول إنه بدأ في جمعها من الرواة وكبار السن منذ الثلاثينيات، وتبلورت جهوده الرائعة في إصداره كتابه الضخم «الأمثال الكويتية المقارنة» في أربعة أجزاء، والذي ساعده في تحريره أ. صفوت كمال، رحمهما الله.

وكذلك الحال في كتاب «الموسوعة الكويتية المختصرة»، للباحث حمد محمد السعيدان، وهي ثلاثة أجزاء، وصدرت عام 1970، والباحث عدنان الرومي، الذي جمع تواريخ المساجد القديمة، وأئمتها وخطباءها، في كتابه القيم «تاريخ مساجد الكويت القديمة»، الصادر عام 1987، والدكتور عبدالمحسن الجار الله الخرافي، الذي تصدى لتاريخ التعليم، عبر توثيق سير العلماء والمدرسين في كتابه الضخم «مُربّون من

بلدي»، الصادر عام 1998، وغدا مرجعاً مهماً في مجاله، ومثالاً يقتدى في التوثيق والتأليف.

أما الدكتور خليفة الوقيان، فقد ألّف كتابه القيّم «الثقافة في الكويت»، الحائز جائزة معرض الكتاب، المقدمة من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي عام 2007، وصدرت عنه طبعات مهمة عدة حتى الآن، وتناول جوانب من تاريخ الثقافة، مستعيناً بالرواة والوثائق والكتب.

ونجد أن الباحث يوسف الشهاب، قد جمع بعض مقابلاته التي أجراها مع باقة من الرواة في كتابه «رجال من تاريخ الكويت»، وصدر عنه أربعة أجزاء، ويقول المؤلف في مقدمة الطبعة الأولى من الجزء الأول، الصادرة عام 1984، ما نصه: «يأتي كتابي ليضيف جانباً من جوانب هذا التاريخ، فمن خلال ذكريات كانت مدفونة في صدور نفر من الرجال، حتى شاء لها الزمان أن ترى النور في سطور هذا الكتاب، الذي يصدر الجزء الأول منه بعد رحلة شاقة من البحث عن هذه الشخصيات، وإقناعها بإزاحة الستار عن هذه الذكريات، رغم ما في استدعاء الماضي من عسر ونسيان قد تتراجع أمامه الذاكرة».

وكذلك المؤرخ الدكتور عادل العبد المغني، الذي جمع الروايات الشفوية عبر مؤلفاته التاريخية التي تربو على العشرين كتاباً، والأستاذ خالد سالم الأنصاري – يرحمه الله – الذي تصدى لجمع الروايات الشفوية الخاصة بتاريخ جزيرة فيلكا في مؤلفاته القيّمة، ولقب بمؤرخ جزيرة فيلكا.

والجدير بالذكر أن الشيخ عبدالله النوري – يرحمه الله – جمع باقة من القصص القديمة في كتابه القيّم «حكايات من الكويت»، وسجل اسم الراوي بجانب كل قصة.

ونجد أن الأديبة بزة الباطني لها تجربة رائعة في تدوين الذاكرة الشفاهية عبر باقة من المطبوعات، وتحديداً قصص الأطفال المتوارثة في المجتمع الكويتي، وأسهمت إسهاماً كبيراً ومميزاً في حفظ جزء مهم من التراث الشعبي.

ونجد أن لتدوين الشعر الشعبي نصيباً من التدوين عبر كتب مهمة، أبرزها كتاب «التحفة الرشيدية» للشاعر مسعود بن سيحان، الذي جمع الآثار الشعرية لشعراء الكويت، وأصدرها في ثلاثة أجزاء، صدر الجزء الأول عام 1965.

والأستاذ عبدالعزيز الدويش، في مجموعة من المؤلفات الشائقة، ومنها «الفنون الشعبية» و«مختارات من أعلام الشعر»، وسبقهم الأستاذ عبدالله الحاتم في كتابه «خيار من يلتقط من الشعر النبطي»، والشاعر سليمان الهويدي، في كتابه «مجالس العرب»، والأستاذ مطلق الجافور، في كتب قيّمة عدة، منها «صدى الماضي»، وغيرهم كثير ممن أسهموا في توثيق الرواية والقصيدة.

سلطان القاسمي والغرس الذهبي

حسين الراوي
كاتب من الكويت

منذ عشرين عاماً بدأت رحلة «ملتقى الراوي»، بمباركة ودعم من رجل النور، صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حيث بعون من الله، يسّر وسهّل سُموّه لهذا الملتقى المهم كل سُبل النجاح، حتى أصبح «ملتقى الراوي» نجماً علمياً وأدبياً عالمياً، يفد إليه الأدباء والعلماء للمشاركة من الشرق والغرب.

في عام 2018 تلقيت أول دعوة رسمية للمشاركة في فعاليات «ملتقى الراوي»، وكانت تلك الدعوة الكريمة من الصديق سعادة الدكتور عبدالعزيز بن عبدالرحمن المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث، ولقد قبلت الدعوة، رغم ترددي بالمشاركة حينها؛ لأنه لم يكن لديّ متسع من الوقت حتى أقوم بكتابة مشاركة، أسهم بها في «ملتقى الراوي»، ولكن تحت ضغط وإصرار الصديق الأديب طلال الرميضي، قبلت المشاركة، وأخذت بجهد أسابق الأيام والساعات، في كتابة أوراق مشاركتي في الملتقى.

وعند وصولي إلى إمارة الشارقة، وجدت حفاوة جميلة من الأخوة والأخوات الموظفين في معهد الشارقة للتراث، الذين كانوا ينظمون شؤون الضيوف على أكمل وجه، وكنت أسأل بعضهم، من حين لآخر، قبل انطلاق فعاليات الملتقى بيومين (عام ٢٠١٨)، عن البرنامج العام للملتقى، ومتى سيكون موعد مشاركتي، وأين ستكون تلك الفعاليات... إلخ، وكانوا يجيبونني بما يمتلكون من معلومات بكل محبة. وحينما بدأت فعاليات الملتقى، أُعجبت كثيراً من جوّه العام، الذي كان مملوءاً بالندوات الفكرية، والحوارات النقاشية، والمقاهي الثقافية، والفعاليات المميزة، والبرنامج اليومي الذي يكون في المساء. في الحقيقة، لمست، وأيقنت بأنني أمام جهود جبارة، قام بالتخطيط لها وتنفيذها شباب وشابات من معهد الشارقة للتراث، وهذا نوع فاخر من التميّز الأنيق.

وفي عام 2019 كانت مشاركتي الثانية في «ملتقى الراوي»، وكنت أسأل نفسي: هل سيكون هناك جديد هذا العام في «ملتقى الراوي»؟ فكانت الإجابة التي رأيتها بنفسي، أن كل الجهود تضاعفت بلا استثناء، وازداد الجمال في كل زاوية من زوايا فعاليات الملتقى، وكان النجاح بشكل أكبر، ولله الحمد.

لن أنسى تلك الحفاوة والبشاشة والمحبة التي أحاطني بها العديد من الأخوة والأخوات في مركز التراث العربي، على رأسهم مديرة المركز السيدة عائشة الشامسي، والصديق الدكتور مني بونعامة، فشكراً لهما؛ لأنهما يستحقان الشكر.

في نهاية المقال.. أطال الله عمر صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، الرجل الذي آمن بأهمية العلم، ودأب على غرسه في كل شبر في إمارة الشارقة.

خير وشر.. مهابة ومنفعة

الحيوانات في ثقافات الحضارات القديمة وأساطيرها

علاقة الإنسان بالحيوانات علاقة قديمة منذ قدم الحياة، ولأن الحيوانات تختلف من بيئة لأخرى، كانت لحضارات العالم علاقات متنوعة معها، لكن ما هو دامغ أن لا حضارات دون الحيوانات التي شكلت عصباً لها، كما هي حال البشر.

سارة إبراهيم

في الحضارة الهندية لابد أن يخطر ببال أي قارئ (الأفيال)، فهي أحد أهم الحيوانات التي زخرت بها الهند، ومازالت تحتفي بها، كونها أحد أهم عناصر ونسيج الحياة هناك، ولا يخفى علينا أن الهند موطن للعديد من الحيوانات التي ذكرت في مصادرها التاريخية، لكننا سنقف عند ذلك الكائن الذي ذكر في مواطن عدة.

يعدّ الفيل من أكبر الحيوانات في البرية، والفيلة الهندية ذات لون فاتح عن تلك الإفريقية، وتختلف للمدقق بها في حجمها وشكل الأذنين وعدد الأصابع وغير ذلك، كما تتسم بالذكاء والرحمة، لكن تقلّب هرموناتها يجعلها حادة المزاج ومتمردة، وهي تلك التي تتسم بحسن ترويضها.

ذكر الفيل في كل من قصص كليلة ودمنة، وملاحم عدة، منها: الرامايانا، المهاباهارتا، كما تقدّسها الشرائع الهندوسية، وذكر في كليلة ودمنة استخدام الهنود الفيلة في الحروب، حين واجه ملك الهند (فور) الإسكندر (ذا القرنين)، كما ذكرت في العديد من القصص حول استخدامها في الحروب، بالإضافة إلى استخدامها في الحد من الثورات الداخلية من قبل ملوك الهند وحكامها. كما استخدمت الفيلة للتنقل ولحمل الأمتعة؛ لقدرتها على التحمل، واستطاعة البشر ترويضها لتلك الأغراض، ولعل استخدامها لأجل التباهي واستعراض السلطة والقوة، من خلال اقتناء النادر منها، وتزيينها، كان واحداً من أغراض استخدامها لدى العلية، ولم يقتصر تزيينها للتباهي، بل أصبح واحداً من أهم مظاهر الاحتفال لكل الطوائف في الهند.

في الحضارة المصرية نجد أن للقطط مكانة مميزة، فهي محنطة إلى جانب مومياوات الفراعنة، واتضح أنها كانت لها قدسية عند قدماء المصريين، ويشار إلى أن المصريين القدماء كانوا يحلقون حواجبهم حداداً على قط العائلة، ورغم ذلك فإنهم كانوا يؤمنون بأن القطط ذات ازدواجية، فهي مخلصة ووفية، ومشاكسة وشرسة في آن، وهي بذلك تشبه

حكامهم، ومن ناحية أخرى، فقد اكتشف أن القطط أيضاً استخدمت لأغراض السحر، وتقديمها كقرابين، وتشير المصادر إلى أن هنالك فترة تم فيها تخصيص مزارع للقطط لأغراض البيع، واستخدامها لأغراض مختلفة.

كما وجدت القطط منحوتة كرسومات على الجدران، ومعدة كمجسمات معدنية، وكانت آلهة الفراعنة (باستيت)، وهي على شكل إنسان برأس قط، قد حظيت بشهرة، وامتدت فترتها ما بين 2890 و2670 قبل الميلاد، ومركز عبادتها في مدينة بوباسيتس، وكانت آلهة الحب والسعادة، وحامية البشر، وفي فترة ما كان الإعدام عقاباً لا مفر منه لمن يقتل قطاً.

قد اكتشف علماء الآثار نحو مليون قطة محنطة تحنيطاً بالغ الدقة في إحدى المقابر الكبيرة بمصر، كما تم أيضا اكتشاف العديد من مقابر القطط، ومنها مثلاً ما يوجد في المتحف البريطاني، وهي مومياء لقط يعود إلى القرن الأول الميلادي.

في بلاد ما بين النهرين، اشتهرت العديد من الحيوانات التي تبرز في فنونهم الجدارية واللقى الأثرية، من بينها الأسود والخيول والأفاعي، ولعل الأسد يعدّ من أبرز وأكثر الحيوانات التي ظهرت في الرسوم التي ميزت الحضارة البابلية، كما ورد ذكره في الكتابات التاريخية، كالملاحم، ومن بينها (جلجامش)، والأساطير والتراتيل والأختام الأسطوانية (دور الوركاء)، وعرّفت النصوص المسمارية الأسد بأنه رمز القوة والرعب والغضب، ومثّل رأس الأسد رمزاً للحماية والحراسة، وكان رمزاً لآلهة الحرب عشتار، وعلى صولجان الآلهة نركال.

ومن أشهر معالم بابل التمثال غير المكتمل لأسد بابل المصنوع من حجر البازلت، ويبلغ طوله مترين، و120 أسداً تزين الأبواب الدفاعية إلى الشمال من بوابة عشتار، وبينما عثر على منحوتات تمثل (أسد تل حرمل) كنماذج للأسود الحارسة لحضارة (لكش) السومرية، والغرض منها إظهار قوة سومر التي خاضت العديد من الحروب في عصر فجر السلالات، وقد عرف الأسد كصورة للآلهة، فتظهر الآلهة عشتار تقف فوق الأسد، أو تجلس على كرسي مزخرف بالأسود، كما ظهر الأسد في الأختام الأسطوانية في العصر الأكادي حاملاً على ظهره الملك (إيتانا)، وختم آخر عثر عليه في مدينة (أور)، كما هي الحال في العديد من الأختام والمسلات والأواني المزخرفة والفخاريات، حيث يظهر الأسد بوضعيات مختلفة.

وارتبطت الأفاعي في أغلب ثقافات قارات العالم، فهي المخلّصة والشيطان والشريرة والموت والغدر والغاوية ورمز العطاء، كل تلك الصفات وأكثر بكثير التصقت بتلك الكائنات التي هي بطبيعة الحال تختلف في صفاتها الحقيقية على اختلاف أنواعها ومواطنها، ولعل الأساطير الصينية منحت الأفاعي خصوصية، حتى إنها تمادت في الخيال تجاهها، وبات لديهم مخلوق خرافي مستوحى منها، ألا وهو التنين.

اعتقد الصينيون القدماء أن الثعبان يمكن أن يطيل الحياة، واعتبروه رمزاً للحظ السعيد، والحصاد الكبير والتكاثر. غالباً ما تم العثور على الآثار الثقافية التي تحمل طابع الأفعى في جنوب غرب الصين وجنوبها، ولعل ربط الثعابين بالخير والمطر والحصاد جاء باستيحائه من ثعبان السماء؛ أي قوس قزح الذي يظهر بعد هطول الأمطار، وهو بذلك واحد من أكثر الرموز المنقوشة والمرسومة في الأواني والأختام خاصتهم، كما ارتبطت العديد من الأساطير بالأفاعي، أشهرها «أسطورة الأفعى البيضاء»، وهي لثعبان جميل ارتبط مع الرجل الطيب بقصة حب.

وتعدّ البومة من الحيوانات التي تواردتها ثقافات الشعوب بشكل متباين، فمنها ما تراها نذير شؤم، وإشارة موت، وأخرى تراها رمز الحكمة والسلطة، وفي الأساطير اليونانية هي قرين أثينا، آلهة الحكمة والقوة، ولذلك يشار إليها على أنها بومة أثينا، رمزاً للحكمة والمعرفة، واستخدمت صورتها على العملات والمزهريات والأوزان وغيرها.

«من لا ماضي له.. لا حاضر له»

عصام الدنمي

الكنوز البشرية ذخر وتأريخ وإرث عظيم، رجال بنوا حضارات، وربوا أجيالاً..

إنهم الماضي والحاضر والمستقبل، هم كنوز غالية لا تعوّض، ومهما وصفنا ووزنا هذه الكنوز البشرية، إلا أنها تفوق كل الوصوف والمعايير!

هم أولئك البشر الذين نقلوا لنا إرثاً وعراقة ممتدة من الأزل، كافحوا وتوارثوا وورَّثوا المبادئ والأسس، حتى رسمت تلك الكنوز هويتنا.

بتوجيهات من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، حدّد شهر سبتمبر ليكون يوماً لهذه الكنوز البشرية، ابتدأ صغيراً ومحلياً قبل عشرين عاماً، ثم تدرّج وترعرع ليكون عربياً وعالمياً، بدعم وتوجيهات صاحب السمو حاكم الشارقة – أطال الله في عمره – وجهود ومثابرة الدكتور عبدالعزيز المسلّم، رئيس معهد الشارقة للتراث – حفظه الله.

إن الاحتفاء بهذه الكنوز البشرية صار يوماً ينتظره ويترقبه كثيرون بشوق وحبّ، صار إحياء لذكرى، ومناسبة لتكريم الكنوز البشرية جميعاً، وها هو شهر سبتمبر يطلّ علينا بعد طول انتظار.. ليجدد ذكرى لا تُنسى، ويكتب تاريخاً لا تمحوه السنون، فتلك الكنوز التي زرعت في أرض خصبة، أينعت ثمارها ونضجت، حتى نعمنا بخيراتها، ولا يمكن أن ننسى فضل أجدادنا وجذورنا، أو أن نغفل عنهم، فالباقون بيننا ننهل ونتعلّم منهم، ونوثّق ما عندهم من ذخيرة ومعلومات، ومن فارقنا منهم، فارقنا بالجسد، لكن روحه ستبقى معنا، تعلمنا وتوجهنا، بما رسخ عندنا، ووصلنا منهم، سواء كان شعراً أو مثلاً أو قولاً أو حكاية.

لانزال منبهرين بأسلوبهم في توصيل المعلومة، أسلوبهم لم يتعلموه في المدارس، لكن الحياة كانت كفيلة لتعليمهم، فكانوا أساتذة ودكاترة من دون شهادات، عملوا وبنوا وعمروا، وها نحن ننتفع بهم، ونسير على خطاهم.

ومهما تعلمنا، إلا أننا لا نستغني عنهم، ونظل ننهل من موروثهم طوال حياتنا.

الراوي

بين التراث الشعبي والتكنولوجيا الحديثة

مجدي محفوظ

تعدّ الفنون الشعبية إرثاً ثقافياً فنياً، توارثته الأجيال شفهياً تواتراً، واستطاعت أن تعدد من صوره بطرق مختلفة، وامتلكت حكايات الجدات والأمهات والأساطير جزءاً كبيراً من هذا التراث، الذي مثّل ذاكرة المجتمع عبر العصور، كموروث ثقافي حضاري شعبي، يحوي الكثير من القصص والحكايات عبر الأزمان، حيث تعددت فيها طرق الأداء والسرد، واستطاع التراث أن يحتفظ بها، وبمظاهرها التي أججت المشاعر على مر العصور، بالإضافة إلى كونها تراثاً إنسانياً خالداً.

ويعدّ الراوي جزءاً من هذا التراث الشعبي الملهم للحكايات على مر العصور، وقد اهتم القائمون على التراث بالاحتفاظ به، لما يمثله من أهمية لدى الأمم، حيث مثلت القصص التي يرويها الرواة مجالاً للمعرفة، كغيرها من الفنون التي نقلت إلينا شفاهاً، واستطاعت جذب كثير من المشاهدين الذين ارتبطوا بحلقاتها وداوموا على متابعتها، وقد حققت تلك الأعمال التراثية شهرة كبيرة، بجانب احتفاظها بمخزون تراثي إنساني كبير، ميّز هوية الشعوب، حتى وإن تشابهت بعض القصص المختلفة، إلا أنها امتلكت طابعاً مميزاً لكل قطر عبّر عن هويته.

وسأتحدث عن مشاهدتي حلقات الراوي، ومتابعتها، فعندما كنت طفلاً أعيش في قريتي (دلجا) التي تقع جنوب القاهرة في صعيد مصر، على بعد 300 كم، وكان هذا في سبعينيات القرن الماضي، حيث سوق قريتنا يوم السبت، وكنا نحرص كل يوم سبت على الذهاب للسوق مع والدنا للتسوق، وكانت توجد في السوق حلقة كبيرة يتوسطها العم (إبراهيم)، وكان من جنوب الصعيد، وحين يبدأ بالعزف على الربابة يصمت الجميع، ويبدأ في حكي القصص، وسرد الحكايات التي تحمل الكثير من العبر، أو التي تحث الناس على التفاعل معها، أو حكايات (شفيقة ومتولي والسيرة الهلالية وغيرهما من الحكايات) التي كانت تؤثر في المجتمع، وظل العم إبراهيم يتردد على بلدتنا، ويتابعه الناس كل يوم سبت، إلى أن توفاه الله، ومن بعد ذلك لم نشاهد راوياً آخر، والحكايات التي كان يرويها العم إبراهيم كان يتناقلها الناس في المساء كل ليلة، وتظل حديثهم للأسبوع المقبل، حتى ينهي حكايته، ويبدأ بحكاية جديدة، ومن خلال متابعتي للعم إبراهيم، استطعت أن أفهم كيفية سرد القصص والحكايات، بل كيف تستطيع أن تسردها بطريقة شائقة، يتفاعل معها المستمع، فكنت أجمع بعض الأطفال في القرية، وأحكي لهم قصصاً أؤلفها بنفسي، وأبدأ بسردها عليهم تمثيلاً وأداء، فترك هذا أثراً في داخلي، استطعت من خلاله أن أكوّن مخزوناً ثقافياً شعبياً من تلك الحكايات المتعددة، توضح مدى التأثير الإيجابي الذي تركه الراوي لدى طفل، وهنا تتضح لنا أهمية هذا الفن، وقدرته على التأثير المباشر في المستمع، بل تبين مدى قناعة الأطفال بما يروى لهم، ويحفّز خيالهم نحو التفكير، وتلك الفترة مثلت أهمية كبيرة لدينا، تفاعلنا معها. وبمرور الوقت استطاع القائمون على التراث في معاهد التراث، والمهتمون به، الاحتفاظ بتوثيق تلك الحكايات، لما لها من تأثير إيجابي في المجتمع، وقد أدركوا مدى تفاعل الجمهور مع الراوي، وإدراك أهميته لما يقدمه من الحكايات التي يرويها.

وكان لدور المعاهد العربية المهتمة بالتراث أثر كبير في جمع هذا التراث الشعبي وتوثيقه، عن طريق الرواة، واستطاعت التعرف إليهم، من خلال المقاهي والمنازل والطرقات، وغيرها من الأماكن التي كانوا فيها، وقدرتها في الحفاظ على كثير

من تلك القصص التراثية الشعبية، والتعرف إلى كثير من الشخصيات، وإبراز دورها، والتي كان لها القدرة على تحفيز عقل الطفل على الخيال، بل سهلت له القدرة على الأداء الصوتي المتنوع، بل استطاع كثير منهم تحقيق نجاحهم في كثير من المجالات من خلال ذلك، وحافظ هؤلاء على كثير من الحكايات الشعبية والقصص والبطولات التي كانت موجودة، والتي أكدت دور الراوي في الحفاظ على تلك الأحداث، بما أنها موروث ثقافي مهم لدى الأمم، واشتهر كثير من الرواة في تاريخنا العربي، واستطاع البقاء لوقتنا هذا، رغم اختلاف المحتوى، وتغير المجتمعات والتوجه للتكنولوجيا الحديثة، التي أثرت في كثير من تلك الأحداث.

لكن اليوم، وفي ظل الحداثة والعالم الرقمي، كيف لنا أن نقدم لطفل اليوم الصور الشعبية القديمة في شكلها القديم دون حداثة، وتوافق عقله ومخيلته، بل تؤثر تأثيراً إيجابياً فيه، فيما يفكر هو في الصعود للفضاء، وتستهويه قصص الخيال العلمي الكبير، والقدرة على تحقيق ذاته؟! هنا لابد أن نقف عند تلك الحكايات الشعبية المملوءة بالخيال والسحر، الذي يستطيع أن ينمي خيال الطفل عبر آفاق بعيدة

وعراقته، مع التحليل في عمق تلك الشخصيات، والاستناد إلى مصادر موثوقة من التراث، لاستلهام الدروس والعبر، حتى يتفاعل الطفل معها، وتكون منارة للأجيال القادمة.

إن دور الراوي مازال موجوداً وقائماً، رغم كل ما وصل إليه العالم من تقدم، وهذا يعود إلى طريقته، وكيف يخلق حكايته أو روايته التي سيلقيها على سامعيه، وطريقته في الأداء، ما يساعد على جذب انتباه المستمعين والتفاعل معهم.

ويمثل التراث الشعبي لدى الأمم أهمية كبرى، ولدور الراوي أهمية خاصة وأساسية؛ وذلك لقدرته على ربط أفراد المجتمع ببعضهم بعضاً، حيث يمثل جسراً للتواصل بين الأجيال؛ لما يحمله من تراث شعبي مرتبط بهوية الأمم، واعتباره جزءاً مهماً من تاريخها وثقافة شعبها، بل يعدّ إحدى الركائز المهمة في تطوير وتحفيز فكر الأطفال نحو المستقبل، والارتباط بهويته، وصناعة شخصيته.

من الصور والأفكار، فلابد للمؤلف والمخرج أن يقوما بالاشتغال بما يناسب الطفل دون إرباك عقله، وعدم تقديم ما يسخر منه، بحيث يؤخذ في الاعتبار كثير من الحوارات الهادفة والصور الجمالية التي تنمي ذاكرته، وتحترم ذاته، دون الالتفات إلى ما يؤثر فيه سلباً من حكايات التراث، ورغم وجود التكنولوجيا الحديثة التي يتعامل معها الطفل بكل سهولة، إلا أننا لاحظنا من خلال الفعليات التراثية التي تقام في الشارقة، مدى تفاعل الأطفال معها، وذلك لتوظيفها توظيفاً بمضمون فني يحمل أصول البلد

أنسنة الحيوان في «ألف ليلة وليلة»

سارة إبراهيم

زخر الكتب السماوية، وكتب الأدب العالمي والعربي، وكتب الحضارات، بقصص الحيوان بأشكال كثيرة ومتفردة، فمنها ما نطق به الحيوان نفسه، ومنها ما نسج على لسانه، ولاشك في أن ذلك ما كان إلا إشارة إلى علاقة الإنسان الوطيدة والأزلية بالحيوان، الذي يشكل جزءاً رئيساً في محيطنا البيئي، بل كان معلّماً له في أحيان كثيرة، ويستقي منه العبر، في وقت تحتضن حكاية «ألف ليلة وليلة» قصصاً كثيرة عن الحيوان تمنحنا دلالات عميقة.

تدور قصص الحيوان في «ألف ليلة وليلة» حول عدد من المحاور، فهي أحياناً نصائح وحكم، وأحياناً أخرى تصف حال الحيوان، ونظرته للإنسان، وفي مجملها هي ألسنة الحيوان التي تأخذنا في محل يجعلنا نرى الأمور من منظارها الخاص.

الحيوان يعظ

كانت لتاجر أموال ومواش وزوجة وأولاد، ومنحه الله تعالى معرفة بألسن الحيوانات، وكان يملك في داره حماراً وثوراً، فأتى الثور يوماً إلى مكان الحمار، فوجده راقداً وفي معلفه شعير وتبن، يركبه صاحبه لحاجة تعرض له، ويرجع على حاله، فسمع التاجر الثور يقول للحمار: هنيئاً لك ذلك، أنا منهك، وأنت مستريح، فأجابه الحمار: إذا خرجت إلى الغيط، ووضعوا على رقبتك الناف، فارقد ولا تقم، ولو ضربوك فقم ثم ارقد، وإن وضعوا لك الفول والسقي فلا تطأهما، وامتنع عن الأكل والشرب يوماً أو يومين أو ثلاثة، فإنك تستريح من التعب والجهد.

بعد هذه النصيحة أتت الأحداث بعد أن سمعهما التاجر، لينفّذ الثور نصيحة الحمار، ويشكره على راحة ألمت به، فما كان من التاجر إلا أن أخذ الحمار مكان الثور للحرث، وتكرر الأمر حتى أنهك الحمار، وجاء للثور قائلاً بعد ندمه على نصحه: سمعت صاحبنا يقول: إن لم يقم الثور من موضعه، فأعطوه للجزار ليذبحه، ويعمل جلده قطعاً، وأنا خائف عليك، ونصحتك والسلام. وهنا قد سمعهما التاجر فأخذ السواق الثور في اليوم التالي، وقد استجاب، فلما رأى الثور صاحبه حرك ذنبه وضرط وبرطع، فأخذ الضحك صاحبه، فألحت زوجته لتعرف سبب ضحكه، فصارحها بأنه إن باح بالسر فسيموت، وما كان إلا أن ازداد إلحاحها حتى قرر أن يفضي لها بالسر، فجمع عائلته والقاضي والشهود؛ ليبوح بالسر ويموت، وحين ذهب للوضوء سمع ديكه يقول للكلب: والله إن صاحبنا لقليل عقل، تحتي خمسون دجاجة، أرضي واحدة، وأغضب واحدة، ولو أراد ألا يموت، فما له إلا أنه يضرب زوجته حتى تعدل، ويستقيم حالها، فنفذ التاجر ما سمعه من الديك، واستقر حالهما.

الحيوان وأذى بني آدم

كان هناك طاووس يأوي إلى جانب البحر مع زوجته، في موضع تكثر فيه السباع والوحوش والأشجار والأنهار، ويقضيان الليل نياماً إلى جانب شجرة، وفي طلب الرزق نهاراً، ولم يزالا كذلك حتى كثر خوفهما، فسارا يبغيان موضعاً غير موضعهما يأويان إليه، فوجدا جزيرة أويا إليها، وإذا ببطة أقبلت عليهما، وهي في شدة الفزع، فسألها الطاووس عن سبب فزعها، فقالت: إنني مريضة من الحزن، وخوفي من ابن آدم، فالحذر منه الحذر، وقالت للطاووسة: حلمت بأحدهم يقول لي حاذري من ابن آدم، فهو يحتال على الحيتان، فيخرجها من البحار، ويرمي الطير ببندقة من طين، ويوقع الفيل بمكره، ولا يسلم أحد من شره، ولا ينجو منه طير ولا وحش، ثم سرت

أبغي طعاماً، فوجدت شبلاً حذّره أبوه الأسد من ابن آدم، وشاهدنا حماراً شارداً، فسألناه عن سبب هلعه، فأنبأنا بخوفه من ابن آدم الذي يحمّله ما لا طاقة له به، ويجلده إن امتنع، وشاهدا فرساً وجملاً أفضى بما أفضى به الحمار شارداً، وبعد حين التقيا نجاراً يحمل ألواح خشب، وعدة نجارة، وبيده أطفال، وقال للشبل: إنني ذاهب للفهد أصنع له بيتاً، بعد أن سمع ببطش ابن آدم، فقال له: اصنعه لي أولاً ثم للفهد، فلم يرضَ النجار، فباغته الشبل مازحاً، فأطاحه أرضاً، واغتاظ النجار، ولكنه كتم غيظه حتى صنع له بيتاً، لا يكاد يسعه، وحشره فيه مكراً. وما كادت البطة تنتهي من حديثها، حتى أطلّ عليها والطاووسة ظبي ساكنهما، وما أن قضيا وقتاً معاً، حتى أطلّت سفينة على الجزيرة، تحمل بني آدم، فطار الطاووس هرباً، والظبية جرياً، بينما لم تكد البطة تجد مخرجاً حتى اصطادوها، فقالت: لم ينفعني الحذر من القضاء والقدر.

حكمة الحيوان

تقول شهرزاد: إن هنالك ثعلباً سكن في بيت الجبل، وكان يشعر بالوحدة، وما أن يولد له ولد حتى يأكله من الجوع، وكان يأوي غراب في موضعه، ففكر الثعلب أن يعقد المودة معه، علّه يؤنس وحدته، ويعاونه على رزقه، فدنا الثعلب من الغراب، وأفضى له بحق الجيرة تمهيداً لصداقتهما، لكن الغراب المعروف بذكائه أعلم الثعلب بأنه سيصدق معه في الكلام، وقال له: أعلم أنك تتحدث بلسانك ما ليس في قلبك، وأخشى أن تكون أخوّتك باللسان ظاهراً، وعداوتك في القلب، فأنت آكل، وأنا مأكول. وسأله عن سبب رغبته في أخوّته، فقال الثعلب: أحبَبْتُ قربَك، واخترْت الأُنس بك، ليكونَ بعضُنا عوناً

لبِعْض على أغراضِنا، وتعقب مودتنا نجاحاً، وعندي حكايات في حسن الصداقة أسردها عليك، فنوّه الغراب له بسردها؛ ليعرف غايتها، فقال الثعلب: كان هنالك فأر يعيش في بيت تاجر، وكان هنالك برغوث أوى في إحدى الليالي في فراش ذلك التاجر، فانتابه العطش، فشرب من دمه، وما أن شعر التاجر بالألم، حتى هرب البرغوث قاصداً بيت الفأرة، مبدياً فزعه، وطالباً الأمان، وواعداً بعدم الأذية، بل برد الإحسان بالإحسان، فأمنته الفأرة وصدقته، وكان البرغوث يأوي ليلاً في فراش التاجر،

وأخرى في مسكن الفأرة، وحين علمت الفأرة بدنانير كان قد أتى بها التاجر وخبأها في منامه، طلبت من البرغوث وسيلة لتصلها، فما كان من البرغوث إلا أن لدغ التاجر لدغة قوية لإخراجه من بيته، فكانت فرصة الفأرة لتأخذ الدنانير، وما أن همّ التاجر في الصباح لأخذها، حتى لم يجد منها شيئاً، وصار يظن بالناس ويتهمهم. وهنا تنتهي قصة الثعلب للغراب التي أراد منها تبيان إحسان البرغوث للفأرة، ولكن الغراب لم ير في الإحسان واجباً لمن التمس صلة بقطيعة، وقال: إن أحسنت إليك مع كونك عدوّي، أكن قد تسببت في قطيعة نفسي، وأنت، أيها الثعلب، ذو مكر ولا تؤمن، وقد سمعت أنك غدرت بصاحبك الذئب، وهو من جنسك، فما ستفعل معي وأنا من غيره؟ وما مثالك معي إلا مثال الصقر مع ضواري الطير، فطلب الثعلب من الغراب سرد الحكاية، فقال: كان هناك صقر جبار أيام شبابه، ولا يسلم من شره أحد، ولا الطيور، ولما كبر وضعف، أجمع رأيه على أن يأكل من مجمع الطير ما يفيض منها بالحيلة لا القوة، وكذلك أنت أيها الثعلب، إن عدمت قوتك، ما عدمت خداعك، فاذهب عني بسلام، فذهب الثعلب من يأسه، ورجع من حزنه يئن، حتى قرع للندامة أنيابه سناً على سن، فسأله الغراب عن بكائه وأنينه، فقال الثعلب: إنما قرعت سني لأني رأيتك أخدع مني.

حكايات الحيوانات في الهند

عبده شيوابورام
كاتب – الهند

نجد في الحكايات الشعبية عند كثير من الشعوب البدائية أن معظم الشخصيات في العادة من الحيوانات التي تتكلم وتتصرّف كالآدميين، إلى درجة تبين منها أن الرواة الذين يحكمون القصص بكل جدية، ليست لديهم فكرة واضحة عن الحد الفاصل بين الإنسان والحيوان؛ فهو حيوان في ناحية، وإنسان في ناحية أخرى، دون حاجة لأن يكون هذا التحول مصحوباً بشعائر خاصة، وهذا التصور الغامض يمتد إلى القصص المقدسة التي تشكّل الأساطير؛ فنجد كثيراً من الآلهة تظهر مرة بشرية، ومرة أخرى في شكل حيوان.

إن القصص والأساطير التي تروى على ألسنة الطيور والحيوانات أصبحت نمطاً ذائعاً لدى معظم الأمم العالمية.

إن كتاب «بنجا تنترا» الذي ألف في اللغة السنسكريتية الهندية القديمة في القرن الثالث الميلادي، يروي القصص والأساطير على ألسنة الحيوانات والطيور، كما توجد مثل هذه المؤلفات التي تتضمن حكايات وقصصاً خرافية.

وكان الغرض الأساسي من تأليف حكايات «بنجا

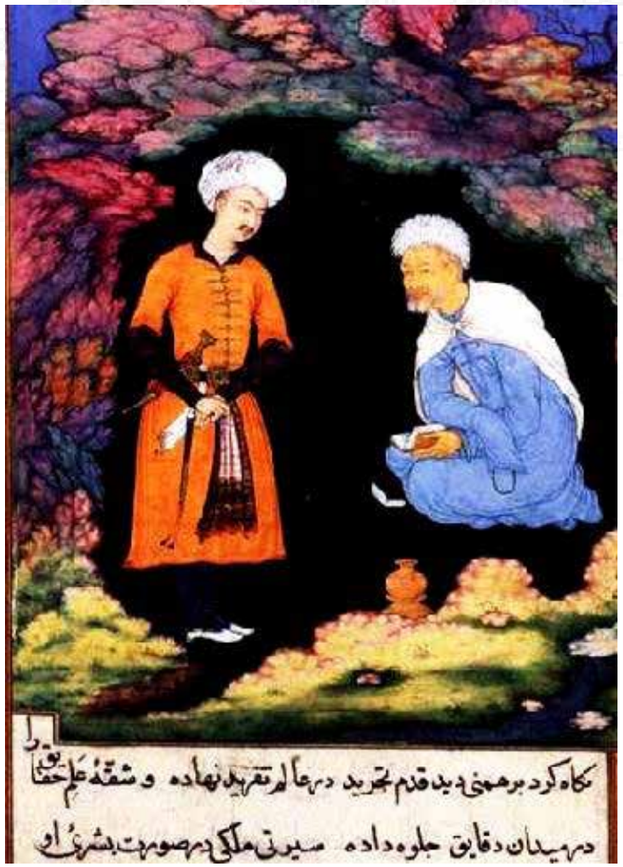

تانترا» هو تربية أبناء الملوك، وخاصة تدريس مبادئ قضاء عيشة داهية، ولها قدر جوهري عظيم، فقد صيغت بأسلوب جذاب للغاية، حيث أثرت ترجمتها تأثيراً كبيراً في آداب آسيا الغربية وأوروبا الوسطى.

وكان الهدف من تأليف كتاب «بنجا تنترا» المصالح الإنسانية العظمى، والكتاب قديم جداً، وهو من أهم كتب القصص والحكايات الهندية في الآداب العالمية وأشهرها.

ومن ميزات الكتاب أيضاً أنه يشتمل على معان أخلاقية واجتماعية وسياسية، حيث إنه يهذب النفوس، ويصلح الأخلاق، ورغم أن الكتاب حافل بخرافات حيوانية، ومملوء بالحوادث الغريبة والعجيبة، والحكايات الجميلة، والقصص الممتعة، إلا أن الأوربيين فهموا الكتاب فهماً جيداً، فقاموا بترجمته إلى لغاتهم.

وكتاب «بنجا تانترا» يوضّح بعض الحقائق على ألسنة الطيور والحيوانات؛ وذلك أن العلم هو أثمن وأشرف شيء في الدنيا، إذ إن العلم يؤدي إلى الحلم، والحلم يؤدي إلى التعقل والتوازن، وهذان يؤديان إلى الثروة والنجاح في الحياة العملية، وهذه الوسائل توصل إلى سعادتي الدنيا والآخرة، كما تمت ترجمته إلى اللغة العربية.

قصص الحيوان

د. منّي بونعامة
مدير التحرير
mini.abdelkader@yahoo.com

شغلت قصص الحيوان كثيراً من الأدباء والكتّاب والمؤلفين، قديماً وحديثاً، ودبجت في كثير من الأوضاع والتصانيف التي وثّقت جوانب منه، ودرست عوالمه، واستكشفت معالمه وملامحه، ومنها مؤلفات خاصة ومتخصصة، كـ«مجمع الأمثال» للميداني، ففيه نماذج من إنطاق الحيوانات كلاماً، وكتاب «الحيوان» للجاحظ، وكتاب «حياة الحيوان الكبرى» للدميري، و«محاضرات الأدباء» للراغب، و«البصائر والذخائر» لأبي حيان. بيد أن المؤصل الحقيقي والمؤسس الفعلي لهذا الفن الحكائي في التراث القصصي العربي المدوّن، هو عبدالله بن المقفع، حيث استعار ما وضع على ألسنة البهائم والطير في خلق منظومة رمزية لنص مضاد للسلطة، وكان «كليلة ودمنة» أول نص مدوّن لهذه الحكايات والخرافات في إطار الثقافة العربية المكتوبة، وصولاً إلى كتاب «فاكهة الخلفاء» لابن عربشاه، الذي يعدّ آخر حلقة في سلسلة القصص على لسان الحيوان قبل العصر الحديث.

كما وظّف «إخوان الصفا»، في القرن الرابع الهجري، الحيوانات، وأجروا على ألسنتها آراءهم الفلسفية في رسالتهم «تداعي الحيوانات على الإنسان»، وألّف سهل بن هارون كتابيه «ثعلة وعفراء»، و«النمر والثعلب»، وكتب محمد بن أبي القاسم بن علي القرشي المالكي، كتابه «سلوان المطاع في عدوان الأتباع»، وألّف عبدالسلام بن أحمد بن غانم المقدسي «كشف الأسرار عن الحكم المودعة في الطيور والأزهار». كما تضمنت حكايات «ألف ليلة وليلة» نصيباً وافراً من قصص الحيوان.

إن التراكم الكمّي والنوعي الذي أحدثه هذا المبحث التراثي العربي العريق، راكم كثيراً من المنصفات والأعمال والمؤلفات التي أثرت المكتبات العربية والعالمية، وكانت في مجملها ملهمة لكثير من المبدعين والمفكّرين، ومن حذا حذوهم.

human treasures in the UAE, Arab countries and the world. It translates the insightful cultural vision and the generous care of His Highness Sheikh Dr. Sultan bin Mohammad Al Qasimi, Supreme Council Member and Ruler of Sharjah, to pay tribute to narrators, artisans and folk performers, in recognition of their rich and varied record.

Twenty years full of giving and excellence have passed, producing a qualitative leap and a comprehensive development for the Forum's vision, structure and content. It has become a pivotal event on the cultural work map not only in the UAE, but also in the Arab countries and the whole world.

It is awaited by narrators, bearers of the folk heritage, researchers and those who are interested in the oral heritage every year. It made Sharjah a destination for heritage, narrators, experts and researchers from everywhere. Sharjah has become a pioneering model to be followed in protecting human treasures, preserving and safeguarding heritage from loss and extinction. This is clearly evident in the slogans of the previous editions, such as "The Arts of Narrator", "Goha", "A Common Human Heritage", "Biographies and Epics", "Fairy Tales", "One Thousand and One Nights" and "Celebrating the Twenty".

Twenty years have given the heritage and its bearers the prominent position they deserve, and the appreciation that befits them. Twenty years bring us back to the first spark that accompanied the launch of the narrator programme, which was the candle that lit the biography of narrators, and restored to them consideration and appreciation. It feeds awareness, research, study, and documentation of various topics of oral heritage. Perhaps the Institute's publications, which exceeded 300 titles, are the best proof of such a beautiful harvest.

Those years played a great role in supporting narrators and their folk knowledge, thanks to the generous support and encouragement of His Highness. It is a good opportunity through which we sought to pay attention to living human treasures and celebrate them through the SINF and the Narrators Programme at the Sharjah Institute for Heritage, in line with the directives of UNESCO. In this issue, we have devoted a space to talk in detail about the Forum's role in safeguarding and honoring human treasures through its successive editions. It also reviews the Forum's progress and the most prominent accompanying programmes and activities. The issue also includes details of the new edition of SINF-2021, which started on September 22, 2021, and will continue until September 30, under the slogan: «Tales of Animals». It contains rich matters about the Arabian heritage, in addition to rich and varied articles.

صدر حديثاً

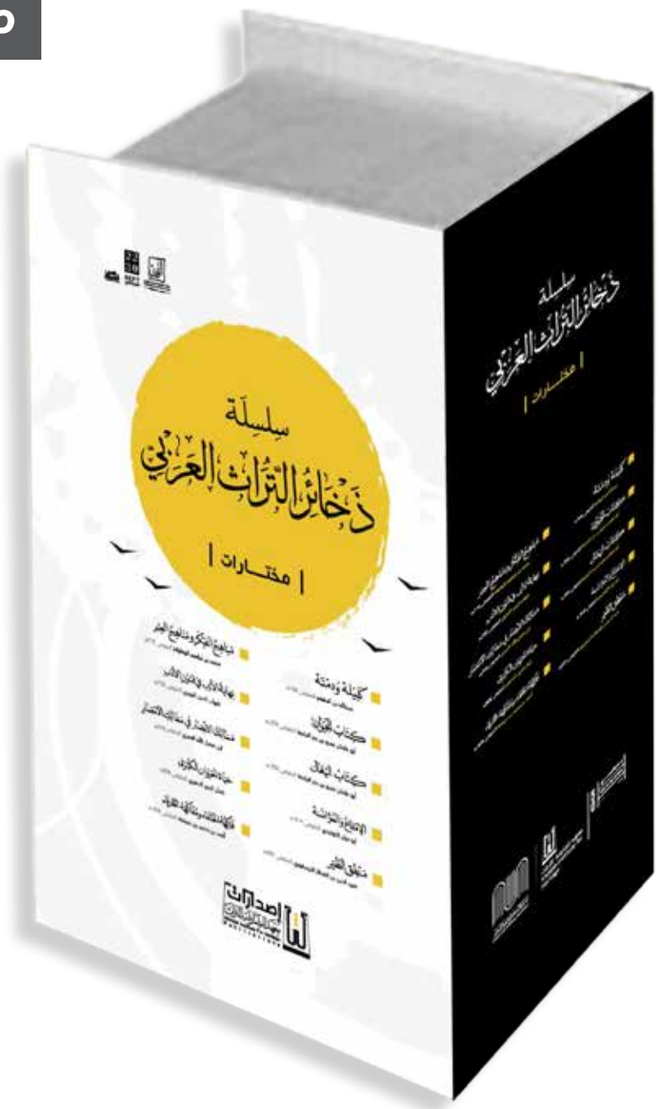

“Al Rawi” (narrator)....20 years of giving

Many years have passed, but the memory remains alive with nostalgia for the distinguished and notable people, whose souls departed from us, but left an immortal legacy, which is like a sun that does not set. In the month of September, which has become the month of narrators, we recall them and their works. It is a fixed date, and a firm tradition for the annual celebration of narrators and bearers of the